أميرة البطل

ديهوم

جريمة في محطة المترو

رواية

دارك

فريق متميزون
E-BOOK

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

ديهوم (١)
جريمة في محطة المترو
رواية..

الكاتبة: أميرة البطل

لا تبحث عن حل اللغز.. فقط تتبَّع الأحداث..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(1)

ليلة الحادث الساعة الحادية عشرة مساء

الساعة التي تأتي محمَّلة بالظلام، البرد، الرياح العاتية ومعها يعلو نباح الكلاب بدون سببٍ مرئي فاعلم بأن هناك شيطانًا يوسوس للإنسان بأن يخطط لفعل جريمة عجزَ قرينه عن القيام بها.

ليلة شتوية في منتصف شهر يناير، أغلب الطرقات مقفرة يسودها هدوء قاتل يثير في النفس القلق، الجو أصبح يميل إلى الدفء قليلاً بعد توقف الأمطار الغزيرة ولكنها ما زالت تهطل غضبًا داخل شقة (تامر) وزوجته (ريهام) وقد وصل صوت شجارهما إلى سطح البناية ولعلع صداه في أرجاء الشارع وما زالت تصرخ في وجهه:

- لن ألقي اللوم عليك هذه غلطتي أنا.. أنا المغفلة التي صدقتك منذ البداية.

ينظر لها زوجها ودموعه حبيسة مقلتيه وانعقد لسانه عن الرد ومع ذلك لم تتراجع ومازالت تصيح في وجهه بغضب جامح:

- الخيانة هي الجائزة التي أستحقها بعد كل ما قدمته لك.. ومع مَن؟ مع هذه الساقطة التي تشبهك وتشبه أصلك الوضيع.

اقترب منها وهو يمد يده ليضعها على كتفها محاولاً تهدئتها مترجيًا بأن تخفض من صوتها حتى لا توقظ الفتاتين، فأزاحت بيده بعيدًا عنها مقاطعة كلامه قائلة:

- في الصباح سأرحل أنا والبنتان وأطلب من المحامي إلغاء جميع التوكيلات التي تعطيك حق التصرف في الأملاك، حتى حسابنا المصرفي المشترك سأسحب كل ما فيه من أموال وأعيدك كما عرفتك فارغ القلب والجيب.

ولأول مرة منذ بداية الشجار يعلو صوت (تامر) متوعدًا لها:

- سأجعلك تندمين على كل ما تفوهت به في حقي، ولكن ليس الآن، حينما أثبت لك براءتي.

ثم أدار لها ظهره واتجه إلى باب الشقة ورحل وهي ما زالت تتمتم:

- بريء بريء بريء!!! نعم أنت الملاك وأنا من قام بمضاجعة هذه الحية الحقيرة التي أخذتك من حضني أنا وبناتك.

ثم جلست على أقرب مقعد لها وظلت تبكي قرابة النصف ساعة حتى رن جرس الباب ومسحت وجهها واتجهت لفتحه وسبقها صوت أنفاسها المتلاحقة إثر البكاء ونظرت من عين الباب الزجاجية لترى رجلاً ضخمًا له شارب كث وشعر أبيض يقف بالخارج فسألته:

- مَن أنت، وماذا تريد في هذه الساعة المتأخرة؟؟

قالتها وهي بالداخل خلف الباب.

- هل هذه شقة المدعو تامر البحراوي؟

- نعم، ماذا بعد؟

- إنه في الأسفل جريح قد تعرض لصدمة قوية من سيارة مسرعة.

فتحت الباب بسرعة بعد سماعها ما قال الرجل الغريب سألته بلهفة:

- أين هو؟

- موجود في الأسفل ويريد رؤية زوجته ريهام.

ثم صمت برهة وأكمل:

- إن كنت أنتِ فمن الأفضل أن تسرعي وتحضري معك الهاتف في حال ضرورة الاتصال بسيارة الإسعاف لأن كما يبدو عليه إصابته بالغة.

هرولت إلى الداخل وارتدت معطفًا فوق ملابس البيت ثم أمسكت الهاتف وألقت نظرة اطمئنان على ابنتيها النائمتين ونزلت في صمت مع الرجل الغريب، حينما وصلت لخارج باب البناية تلفتت يمينًا ويسارًا لترى زوجها ولكنها لم تجده فسألت في حيرة:

- أين تامر لا أراه.

فقاطعها متقدم الخطى:

- هيَّا أسرعي فهو موجود هنا بالخلف.

حاول شعور الريبة التسلل لروحها، ولكن خوفها على زوجها برغم غضبها منه لم يدع له مجالاً، ظلت تسارع الخطى خلف الغريب إلا أن وصلت لسيارة ساكنة في بقعة مظلمة. وهنا قال الرجل بصوت أجش تغيرت نبرته عن السابق:

- ادخلي.

- أين زوجي؟

قالتها وهي تحاول أن تعود أدراجها لترى الصورة كاملة ولكنه جذبها من ذراعها بقوة وفتح باب السيارة ودفعها بعنف إلى الداخل، بينما هي تصيح فيه بصوت عالٍ تستنجد بأحدٍ في هذه البقعة الفارغة إلا من الظلام والرياح فتلمح شخصًا يجلس بجوارها على الأريكة في مؤخرة السيارة فتقول بفزع:

- تامر، أنت بخير؟ ماذا أصابك؟ ومَن هؤلاء؟ ومن أين أتيت بهذا الوشاح الذي تضعه على وجهك؟

ظلت تكرر الأسئلة بنبرات متهدجة يتملكها التوجس وتمر بعينيها على السائق والرجل الذي يجلس في الكرسي الأمامي من السيارة والغريب الذي يقف خارجًا ملتصقًا بجسدها محاولاً أن يحجب عنها رؤية الشارع، لم تتلقَّ أي إجابة منه، وإذا بها تكرر السؤال مستنكرة ما تشعر به من هذا الوضع

الغامض، فتلتفت للرجل الذي يقف بجوارها وتدفعه بأقصى قوتها وتصرخ وتحاول أن تبعده من أمامها لتخرج من السيارة ولكن حركاته كانت أسرع وأقوى من رد فعلها، فأخرج الرجل من جيبه حقنة وأزال غطاءها وقام بغرسها في ذراعها مخترقًا نصلها ما ترتدي إلى أن وصل لجسدها وأفرغ ما فيها كاملاً ومعها بدأت تتسارع دقات قلبها وانخفض ضغط الدم وشعرت بصداع فأمسكت برأسها وهي تئن من الألم وبدت على يديها رعشة غير قابلة للتوقف رغم المحاولة وأصبح كل شيء حولها مزدوجًا فلم تعد قادرة على الرؤية بوضوح وما زالت تكرر بمعاناة:

- تامر! تامر..

كررتها مع تصاعد النشيج ثم بدأ لونها يميل للشحوب وانخفضت نبرتها وخرج صوتها مختنقًا وهي تقول:

- أغثني، ماذا يحد...

الجملة لم تكتمل لثقل لسانها، أصبحت تعي ما يدور حولها بنسبة ضئيلة وعاجزة تمامًا عن الشروع في أي رد فعل. ابتعد الرجل وقام بإغلاق باب السيارة بينما أدار السائق المحرك وانطلقوا. وبعد مرور عدة دقائق من التجول في الشوارع الممطرة الخاوية من البشر استقرت أمام باب محطة مترو الأنفاق، وهنا تكلّم الرجل الذي يجلس على الكرسي الأمامي بجوار السائق وقال وهو ينظر للآخر الذي يجلس بجوار (ريهام):

- هيَّا انزل وخذ حذرك، وحاول أن تسرع خطاك وأمسك بها جيدًا حتى لا تسقط أرضًا ويلتفت لها أحد الركاب وإذا وجدت فرصة جيدة حاول أن تترك دليلاً في المحطة.

- أحد الركاب! ألم تقل إن هذه المحطة شبه فارغة في هذا الوقت.

- لا تقلق، الآن ساعة منتصف الليل من الصعب أن تجد زوارًا لهذه المحطة المترامية، حتى أفراد الأمن لا يوجد غير واحد نحيل وستجده يجلس على كرسي خشبي متكئًا على ذراعه ينظر للركاب وهو شبه نائم.

- متأكد مما تقول؟

- لا تقلق، كنت أراقبه مع كل حركة داخل وخارج المحطة على مدار الثلاث ليالٍ الماضية.

- على بركة الله.

ترجَّل الرجل واتجه لموضع (ريهام) وأخرجها من السيارة وهي تستند على ذراعه وحينما لفح وجهها الهواء البارد أخذت نفسًا عميقًا محاولة استعادة وعيها ونظرت له فتقول بصعوبة:

- إلى أين تأخذني يا تامر؟

- حاولي أن تتماسكي حتى نصل لعربة المترو وبعدها سأخبرك بكل شيء.

سمعت بعضًا مما قال؛ انخفاض ضغط الدم أثَّر بالسلب على اتزان كل حواسها.

- لماذا المترو؟ ومن هؤلاء الناس؟

وهنا كانت تلفظ الكلمات متقطعة حتى استسلمت للدوار الذي تمكن من رأسها وكادت أن تخور ما تبقى من قواها، بينما اتجه مرافقها إلى شباك التذاكر ودفع ثمن اثنتين وهي ما زالت تحاول بدون أملٍ يذكر أن تقاوم ازدواجية رؤيتها لكل ما حولها، ثم جذبها من ذراعها الأيمن وهو يحيط خصرها بيده الأخرى خوفًا من السقوط، وقبل أن يصل لعربة المترو ظهر خلفه شيخ، يقول له:

- أتريد مساعده؟

- لا.

بينما السيدة لوَّحت للرجل ففهم منها أنها في مأزق فأسرع خطاه واقترب منهما يتفحص حالها والرجل الذي معها، فشعر بشيء مقلق فاقتطب جبينه وقال:

- السيدة يبدو عليها الإرهاق، أقترح بأن نطلب لها مساعدة من الخارج.

- هذا ليس من شأنك، انشغل بحالك.

- ما بك يا رجل موقفك يدعو للحيرة؟!

قالها وهو يقترب منه محاولاً أن يفلت من يده (ريهام)، بينما هما في حالة شد وجذب وقعت (ريهام) مرتطمة بالأرض بعيدًا عنهما، مما جعله يستشيط غضبًا وقام بلكم الشيخ بقوة في كتفه فنتج عنها سقوطه في أحد أركان المحطة بينما تلفت الآخر حوله متفحصًا أرجاء المحطة حتى وقعت عيناه بالأعلى على آلة تصوير ترصد كل ما حدث وهنا رنت في أذنه الجملة التي قالها له شريكه في السيارة "إذا وجدت فرصة جيدة حاول أن تترك دليلاً في المحطة" فنظر لها وجدها شِبه فاقدة للوعي تكاد تلفظ أنفاسها بصعوبة، وألقى نظره على رجل الأمن وجده يمشي بعيدًا مع سيدة مسنة ولا يوجد ركاب في المحطة فنظر مرة أخرى للضوء الأحمر الموجود بآلة التصوير ثم أتجه للشيخ وأخرج من جيبه مطواة ذات نصلٍ حادٍ صغير وبسرعة متناهية قام بإحداث شق عرضي في بطنه، حاول الرجل أن يستوعب ما يحدث له ويدافع عن نفسه ويبعده عنه فأمسك مستنجدًا بالوشاح الملفوف حول رقبته فنزعه وظل ينظر له وهو يستغيث من فرط الألم ومعها فقد الوعي تمام غارقًا في الدماء التي تتدفق من بطنه بغزارة، فأمسك المعتدي بوشاحه أعاده كما كان، واتجه إلى (ريهام) وظل يقلب في وجهها يمينًا ويسارًا حتى استطاعت أن تحرك جفنيها بصعوبة، ساعدها على النهوض ووضع ذراعها الأيسر حول رقبته وذراعه الأيمن يسند خصرها وترجلت في حركة وئيدة ثقيلة حتى وصلا عربة من عربات المترو فارغة تمامًا من الركاب قد وصلت للتو وانفتح الباب ودخلا، وبعدها بلحظة اقترب منها ومعها اتسع بؤبؤ عينيها في وجهٍ شديد الشحوب كرد فعلٍ لشيء تراه ولا تستوعبه وبدا الذعر على ملامحها وهي تقول:

- تاااااامر !!! وصدحت بعدها آخر صرخة لها وعلا معها صفير انطلاق العربة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(2)

"هناك بعض الأسرار والذكريات، مستحيل الهروب منها.."

***

قبل ليلة الحادث ب 8 سنوات

يبلغ (تامر حسين البحراوي) الثانية والعشرين من عمره، طالب في كلية تجارة جامعة عين شمس في عامه الدراسي الأخير، له شخصية وشكل مميزان، يشبه أمه كثيًرا، متوسط الطول، جسده نحيل مشدود، جبهه عريضة، عيناه صغيرتان بنيتان له أنف أقني وشفتان دقيقتان، بشرته بيضاء، شعره كثيف يأخذ شكل موضة السبعينيات؛ فمنذ طفولته وهو يطلق العنان لخصلاته المجعدة ملفوفة حلقات مموج شكل الزجزاج، يلقبه أصدقاؤه أينما ذهب باسم "تامر أبو شعر" يرتدي نظارة بعدسات كبيرة بإطار أسود رفيع لا يغير شكلها أبدًا، حاول إجراء عملية تصحيح إبصار بالتقنيات الحديثة، ولكن لوجود عيب خلقي في القرنية فشل بالقيام بها ومع ذلك أحب نظارته كثيرًا ويعتبرها جزءًا مهمًا من شخصيته، يخفي بها خجله المستتر وتوتره المعتاد بالرغم من ذلك يتمتع بشخصية طموحة جدًّا؛ يعمل بجوار دراسته يعشق العمل حتى لو جاء على حساب صحته منذ أن خط شاربه وهو يعمل طوال مدة الإجازة الدراسية بدون كلل أو تعب في أي عمل يدر عليه مالاً، حريص لدرجة كبيرة في كل شيء يتعلق بالمال وهذا يعود لشعوره بالخوف وعدم الاطمئنان لما مرَّ به من ضوائق مالية منذ صغره، يهتم بالتفاصيل وخاصة الصغيرة والدقيقة منها، ينعته مَن حوله بأنه يفتقر للمشاعر والأحاسيس مفسًرا ذلك بأنه يجد صعوبة كبيرة في التعبير عن مشاعره ودائمًا يقول: " الأفعال وحدها هي التي تتحدث عن الحب أو الكره إنما الثرثرة عبارة عن سراب يصدِّقه المنافقون فقط".

يعود لأسرة متوسطة الحال وأحيانًا معدومة يقطن في حي العباسية، لديه أخت وحيدة أصغر منه تدعى (تُقى) تصغره بحوالي خمس سنوات، يتمثل الحنان والأمان لديها بوجود أخيها فهي تحبه وتحترمه وتعتبره مثلها الأعلى في كل شيء، ولا تقوم بعمل شيء إلا بعد أخذ المشورة والموافقة منه، قصيرة وممتلئة، ورثت عن أبيها ملامحه العادية، والده كان يعمل في وظيفة إدارية تابعة لمنشأة حكومية، توفي منذ أن كان (تامر) صغيرًا

في صباح يوم جاءت زوجته لتوقظه لتجده قد فارق الحياة بعد ليلة مليئة بالأحداث البشعة، يتذكره الجميع بالخيرِ والسُّمعة الطيبة، أمه السيدة (تيسير)، في أواخر عقدها الرابع ولكن تقاسيم وجهها تزيد عن ذلك عدة سنوات، نحيلة الجسد بعد وفاة زوجها أصبحت لا تكل ولا تمل من قضاء حوائج الغير ما دام سيعود عليها بالمال، كرست وقتها لتربية أبنائها، حتى أهلها لم تكن شديدة الصلة بهم وخاصة بعد ما أصبحت أرملة على قدرٍ بسيطٍ من الجمال وهذا يعني أنها ناقوس خطر يدق قلب وعقل كل سيدة في محيطها ومطمع وصيدٍ سهل في عين كل رجل لا يعرف غير شهوته. تعمل في بيع الملابس الجاهزة من البيت للجيران والمعارف وما يأتي منه ربح تنفق منه بجانب المعاش الشهري عن زوجها المتوفي، تساعدها (تُقى) في بيع الملابس عن طريق الإنترنت والترويج لها على وسائل

التواصل الاجتماعي وتقوم بتوصيل المطلوب للزبائن عند محطات المترو وتأخذ من والدتها عمولة على الطلبيات التي تقوم بتوصيلها.

اليوم الذكري السنوية لزوجها وها هي وأولادها عادوا للتوِّ من القرافة بعدما قامت بتوزيع الفطائر على سكانها ترحمًا عليه، تنهدت السيدة (تيسير) وأحاطت ابنتها بذراعها وقبَّلت جبينها هامسة:

- كل ما أتمناه من رب العالمين أن يطيل بعمري لأطمئن عليك أنتِ وأخيك.

- ولكن حال تامر لا يُطَمئن أبدًا يا أمي منذ أن تحركنا صباحًا وهو لا يتحدث معنا.

- الله يكون في عونه يا تُقى كل سنة في نفس اليوم يظل هكذا، الحادث الذي رآه بعينه منذ طفولته لم يكن هينًا عليه، خاصة أن والدك فارق الحياة في اليوم التالي ومن يومها تحمل مسؤولية أكبر من عمره، هذا بخلاف الرؤى التي يراها في أحلامه كانت تسبِّب له خوفًا دائمًا حتى ذهبت إلى شيخ المسجد وطمأن قلبي وقلبه.

- نعم أتذكر هذا اليوم الذي ذهبت فيه، في صباحه استيقظنا على صراخ أخي فكان يرى في منامه جارنا وهو يحتضر ويستنجد به، وبالفعل حينما طرَقْنَا منزلهم وجدناه في أزمة صحية شديدة، وأتت عربة الإسعاف ونقلته للمستشفى ومات هناك.. ولكن يا أمي لم تتوقف الرؤى، من كل حين وآخر يخبرنا بأشياء بالفعل حينما نسأل أصحابها عنها يؤكدون ما قاله أخي.

- شيخ المسجد لم ينفِ ولم يؤكد ما يراه أخوكِ، وفسرها بأنها كرامة عارضة مثلما يحدث لبعض الصالحين يعرفون الشيء بعد الشيء، والحادثة بعد الحادثة، بالإلهام ونحوه، وعِلمُ الله لا حدود له، يمنحه لمن يشاء ويمنعه عمن يشاء، نزل كلامه على قلب (تامر) أثلجه وبث الطمأنينة به فلم يعد من يومها يشغل باله ما سبَّب رؤياه.

***

(ريهام محيي الدين) طالبه في كلية تجارة إنجليزي في عامها الدراسي الأخير، تقطن في حي مدينة نصر، أنقى مثال لكلمة "عفوية"، من السهل أن تُبهج قلبها كلمة "حلوة" ليوم كامل وربما ابتسامة فقط، ذات بشرة بيضاء، ولها عينان داكنتان كلون شعرها القصير، تميل للقصر مع جسد متناسق، تتمتع بعددٍ لا بأس به من التناقضات في شخصيتها، يغلب على نظرتها الخجل بينما تتمتع روحها بجرأة شديدة وخاصة للشيء الذي تريده، يمدحها الجميع بالذكاء، فتاة تعشق الحياة، مشاكسة ومرحة، تتمتع بمنطق وتحليل للمواقف جيدًا، وهي في الخامسة عشر من عمرها توفيت والدتها بعد صراعٍ مع مرضٍ مُزمنٍ في الكلى دام سنوات عديدة؛ لذا فلم تنعم بإخوة، ولكن دائمًا كان هناك (شريف) ابن العم بمثابة أخ كبير لها بالرغم من أنه يكبرها بعام واحد، له معجبات منذ أن كان صغيرًا يتمتع بقدر كبير من الوسامة، يشعر دائمًا بأنه أفضل ممن حوله، لديه صفات عديدة من الشخصية النرجسية، له أختان متزوجتان تكبرانه بأعوام عدة، يدرس مع (ريهام) في نفس العام الدراسي لأنه رسب عامًا في الثانوية العامة فأصبح الاثنان معًا منذ دخول الجامعة، ومنذ وفاة والدتها وهي تعتبره هو وأمه وأباه هم عائلتها الثانية بعد أبيها، بالإضافة إلى أن والدها يعمل مع أخيه والد (شريف) يمتلكان شركة ومخزنًا لاستيراد وتصدير المحاصيل البقولية.

- بابا.

- نعم يا ريهام.

- قد سمعتك البارحة وأنت تتحدث مع زوجة عمي عن سيدة وزواج.

قالتها ثم نظرت للأرض وصمتت، فردَّ عليه أبوها بفضول.

- وماذا بعد؟

- أنا أحبك جدًّا يا أبي.

- لأنني رفضت الزواج.

قالها وهو يضحك فقاطعته متحفزة:

- ماذا تعني؟ هل تريد أن تتزوج وأنت في هذا العمر؟

- وما المانع؟ قبل ذلك كنت أرفض حتى لا تأتي سيدة غريبة وتتدخل في تربيتك، أما الآن فتبدل الحال.

- لا أفهم ما تعنيه ولا أريد حتى أن أفكر به.

- يجب أن تفهمي، إنها مسألة وقت وتتركيني وحيدًا بالمنزل بعد أن تتزوجي.

قالها ثم قبَّل خدها وألقى السلام عليها وأغلق باب الشقة ذاهبًا لعمله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(3)

لا تصدق رؤية العين فدائمًا تحمل خلفها نقيضًا.. إنما اتبع القلب فله بصيرة تدرك جوهر الأشياء.

***

صباح اليوم التالي ليلة الحادث

عاد (تامر) إلى البيت في تمام الساعة الخامسة والنصف صباحًا، الحزن والإرهاق جليان على وجهه وجسده، وحينما دلف الشقة ارتمى على أقرب أريكة، اتكأ برأسه على مسندها وغاص في نوم عميق قرابة الثلاث ساعات وبعدها فتح عينيه وبدا الذعر على وجهه من صوت ابنتيه (لارا) و (سارا) وهما ترددان:

- استيقظ يا أبي .. أمي ليست بالمنزل، أين هي؟

اعتدل منتفضا من نومه

- لا أعرف ولكن لم يدخل أحد أو يخرج من باب الشقة منذ أن أتيت البارحة.

قالها ثم اتجه لغرفة نومه يبحث عنها كالمجنون، وقام بفتح خزانة الملابس متفحص ثيابها وجدها كما هي ثم أخرج الهاتف من جيبه وقام بالاتصال بها ولكنه وجد هاتفها مغلقًا حينها تمكّن منه القلق والريبة وظل مترددًا هل يتصل بوالدها ليسأله عنها؟ أم ربما تكون ذهبت لشراء مستلزمات للبيت؟ ولكن لا! أكد لنفسه أن منذ دخوله إلى المنزل باب الشقة لم يصدر صوتًا، ظل هكذا في حيرة من أمره وهو يبحث في باقي أركان الشقة وينظر بعينه هنا وهناك.

حتى انتفض (تامر) على صوت الفوضى التي تحدث على باب شقته فهناك أحدٌ ما يرن جرس الباب بشكل هستيري وخبط بقوة من عدة أشخاص بالأيدي وضرب بالأرجل، مما أثار الفزع في نفس الفتاتين فقامتا بالصراخ وهرولتا نحو أبيهما مختبئتين خلفه.

- أبي.

لم يلبث أن يجيب فجثا على ركبتيه وأخذ ابنتيه في حضنه وطلب منهما أن تنتظراه في الغرفة وألا تخرجا منها حتى يرى ماذا يحدث بالخارج. ثم اتجة إلى باب الشقة وبينما يدير المفتاح في القفل مع قوة الدفع الخارجية ارتطم الباب في وجهه وهوي جسده للخلف وتخبطت رأسه بالأثاث حتى ارتمى على الأرض فحاول أن يهم بالوقوف في هلع وهو يتحسس أنفه الذي سال منه خيط من الدم ويسأل مُرهبًا من منظر رجال الشرطة وهم يندفعون نحوه.

- ماذا تريدون؟

فاقترب منه شرطي وهو منفعل وجذبه من ياقة قميصه قائلاً:

- نريدك أنت، نتشرف بزيارتك لنا في القسم.

- قسم!! ربما هناك خطأ؟ هل لي أن أعرف اسم الشخص المراد أخذه؟

- أنت يا سيد تامر حسين البحراوي.

- نعم هذا أنا، أنا متأكد بأن هناك التباسًا وحتى نعرفه لن أستطيع أن أترك الطفلتين بمفردهما حتى تعود والدتهما.

- كيف يكون التباسًا؟ ونحن وجدنا تحقيق شخصيتك بمكان الجريمة وتأكدنا من ذلك بعد مراجعة المقطع المصوَّر وظهر لنا أنه سقط منك أثناء شجارك مع الشيخ دون أن تشعر.

- تحقيق شخصيتي؟!!! كيف هذا وهي معي في حافظتي.

ثم تحسس جيب بنطاله وأخرج حافظته وظل يقلب بين ثناياها ولم يجد تحقيق شخصيته، وقبل أن يدافع عن موقفه، قاطعه شرطي آخر يبدو أنه أعلاهم رتبة من عدد النجوم المتراصة على كتفيه:

- دعك من المماطلة وأخبرني أين هي زوجتك الآن بالتحديد؟

- للأسف لا أدري، هذه المرة الأولى لها تخرج من المنزل ولا تخبرني، لقد عدت للمنزل بعد الفجر وحينما استيقظت لم أجدها.

- آآآآآه عدت بعد الفجر بعد أن تهجمت على الرجل فقتلته في المحطة ثم أخذتها واختفيتما والآن تتساءل أين هي؟!

شعر (تامر) بأن عقله تجمد عن التفكير وترقرقت عيناه من الخوف الذي سيطر على جسده مما سمعه من الضابط.

- عذرًا لم أفهم شيئًا مما قلت.. أية محطة؟ وبمن تقصد اختفيتما؟ أنا وزوجتي تشاجرنا ثم تركتها هنا بالمنزل وغادرت بمفردي.

- جيد جدًّا، هيَّا بنا إلى القسم حتى تحكي لنا ما سبب الشجار وماذا فعلت بعد ذلك.

وهنا ثار على الرجال وظل يبعدهم من حوله قائلاً في زمجرة:

- أجهل عن ما تتحدثون عنه وفي كل الأحوال لن أذهب وأترك الطفلتين بمفردهما.

جلس الضابط ذو الرتبة الأعلي على كرسي وأشعل سيجارة وأخذ ينفث دخانها وصمت دقيقة وألقى ما تبقى منها أسفل قدمه على السجادة وقام بوطئها بحذائه وأكمل وهو ينظر بخبث إلى (تامر):

- أين هاتفك؟

تفقد الأرض من حوله حتى وجده، فقد وقع منه حينما سقط أرضًا، فالتقطه ونظر للضابط الذي قال:

- حاول أن تفتح أي من مواقع التواصل الاجتماعي وتبحث باسم "جريمة في محطة المترو" وتري نفسك إن كنت لا تتذكر، على الأقل تخرج من دور الجنون وتأتي معنا في هدوءٍ، فقد قام أحد زائري المحطة بالتقاطه لك من بعيد وقد تم نشره صباحًا قبل إفراغ المقطع المصوَّر من آلة تصوير المحطة.

ومع أول بحث قام به (تامر) باسم "جريمة في محطة المترو" ظهر له فيديو لم يمر على نشره سويعات كثيرة وحينما فتحه وجد فيديو مشوشًا قليلاً والرؤية بعيدة ومعها اقشعر بدنه وهو يرى نفسه مع زوجته وكلما مرت الدقائق على مشاهدته ينفرج فاه وتتسع عيناه حتى رأى ما فعل بالشيخ ارتعشت يده وسقط الهاتف منه التقطه أحد الضباط وعاد (تامر) أدراجه هامسًا وأوصاله ترتعد:

- لست أنا هذا الشخص! لا أجرؤ أن أفعل مثل هذا..

وسقطت دموعه ومعها خرجت الفتاتان من الحجرة.

- مَن هؤلاء الناس؟ وأين هي أمي؟

فجثا على ركبتيه واحتضنهما قائلاً بصوت خفيض:

- ريهام بخير.. ستعود قريبًا.

- متى؟ أريد أن أخبرها أني خائفة.

- لا أدري يا سارا، لا أدري...

ظل يرددها حتى رن هاتفه وهو في يد الضابط الذي قال:

- هناك فتاة تتصل تدعى تُقى.

- عذرًا إنها تُقى أختي، دعني أجيب عليها حتى تأتي وتراعي الطفلتين.

وهنا نظر الضابط للآخر الأعلى رتبة فأومأ له بالموافقة.

- ما الذي فعلته في الفيديو يا تامر وأين ريهام وماذا حدث لها؟

- يا تُقى أريدك أن تأتي فورًا، لارا وسارا بمفردهما، رجال الشرطة هنا وسأرحل معهم للقسم.

وهنا سمع صوت أمه وهي تبكي بحرقة وتقول:

- سآتي لهما على الفور.

ثم انقطع الاتصال ومعها انفتح سيل من الدموع وهو يحتضن فتاتيه ويقول بصوت متهدج:

- والدتكما بخير وستعود قريبًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(4)

إذا أحبتك الحياة تداعبك بهذا اللقاء المصيري الذي سيغير شخصيتك ويجعلك أكثر نضجًا، وحتمًا سيحمل لك الكثير من المفاجآت غير السَّارة.

***

اللقاء الأول بين (تامر) و (ريهام)

تجلس (ريهام) في أول ممر أمام بوابة الحرم الجامعي مع (شريف) ابن عمها وزميلها في نفس القسم ومعهما كعادة كل يوم صديقتاها اللتان لا تفارقان ظلها، الأولى (ميران) فتاة جميلة لحد الغرور لا يجذبها إلا ذو النقود والنفوذ لا ترى أحدًا أجمل منها في الحياة، تشبه البعوض في صفتين: "الزن وعدم المنفعة". والثانية (سهيلة) أو "أم بوز" كما لقَّبها (شريف)، من المتعارف عليه بأن كل شخص له نصيب من اسمه، ولكن هذا المثل لا ينطبق أبدًا على (سهيلة) فاسمها أصله الشيء السهل اللين وهذا أبعد ما يكون عنها فدائمًا مقطبة الجبين لا تمر أمامها صغيرة ولا كبيرة إلا وباتت مشكلة عويصة، تحاول بشتى الطرق التقرب من (شريف) ونيل إعجابه ومع كل محاولة يصطدم الاثنان وتنتهي بشجار سببه الغيرة عليه من كل تاء تأنيث، الوحيدة التي لا تراها خطرًا على علاقتها به هي ابنة عمه لأنها تعي جيدًا رابطة الأخوه التي تجمعهما من الصغر.

يدخل (تامر) من باب الحرم الجامعي فيمر من نفس الممر الذي تجلس فيه (ريهام) وبينما ينظر في شاشة هاتفه وهي تتحدث مع رفيقتها غير مبالية ممدة القدمين فتعلق قدمه في طرف حذائها فانكب على وجهه ساقطًا على الأرض أمامها فضحك الجميع إلا هي؛ فقد شعرت بالاستياء لما حدث له بسببها والسخرية التي تعرَّض لها، فانتفضت من مجلسها وجثت على ركبتيها واقتربت منه ثم مدت له يد العون، فرفع رأسه وهو ينظر لها بوجه مكفهر ثم حاول جاهدًا تهدئة نفسه واعتدل حتى قام منتصبًا على قدميه ولم يلقِ لها بالاً ورحل في صمت فبدا الخجل جليًّا عليها فتقول غيظًا:

- تستحق ما حدث لك.

لم يلتفت إليها وأكمل طريقه حتى وصل إلى حجرة الدراسة وأخذ مقعدًا على طرف أحد المدرجات وبينما ينتظر قدوم المحاضر دخلت (ريهام) من الباب ووقعت عيناها عليه فاقتنصت الفرصة وجلست بجواره لتصلح ما أفسدته بدون عمدٍ وشعورها بالذنب رغم غيظها من ردِّ فعله معها، ومن هُنا كانت بداية علاقة الصداقة بينهم جميعًا

لم يكن من السهل الوصول إلى قلب (ريهام)؛ لأنها خاضت علاقتين حب وكلتيهما باءت بالفشل بعد أن تذوقت معهما مرارة الخيانة، ولكن كان هناك شيء ما يجذبها إلى (تامر) ربما غموضه، حينا يقترب منها حتى تكاد تحلم باللحظة التي يصارحها بحبه لها وكل تفاصيل حياتها تصبح باللون الوردي، وأحيان أخرى يختفي وكأنه حلم استيقظت منه على مُر الوحدة والتفكير فيه أينما ذهبت ونفس التفاصيل تصبح رمادية باهته لا حياة فيها، جديته في التعامل مع كل مَن حوله تأسر روحها وتجعله محل ثقة في عينيها، ولكن ما كان يشعل غيظها منه أنه يجيد فن التجاهل خاصة حينما تقوم

بمهاتفته أو أرسال رسائل نصية في فترة عمله، فكان يقسِّم وقته صباحًا معهم في الجامعة أو لقضاء حاجة لوالدته أو أخته ومن فترة الغروب حتى منتصف الليل، يعمل بائعًا في محل للملابس الرياضيه المشهورة ذات علامة تجارية عالمية والتي تدر عليه أجرًا شهريًّا لا بأس به وعمولات مرضية من آنٍ لآخر، بادل (تامر) (ريهام) نفس الاهتمام والشغف ولكن من الصعب عليه أن يلفظ لسانه بما يخبئه قلبه، كان يرى فيها أخته التي يخاف عليها من القريب والغريب فمنذ وفاة أبيه لا يعرف غير تحمُّل المسؤولية، فكيف يفصح عما يحمله وهو غير مستعد للارتباط بها رسميًّا والتقدم لأبيها ليبارك هذا الزواج، كل ما يصبو إليه هي الشهادة الجامعية ليتقدم لوظيفة أعلى مرتبة فما بيده حيلة غير الصبر والكتمان، لم يطرأ جديد حتى إجازة نصف العام وهنا لم تعد تحتمل صمته أكثر من هذا فهاتفته وطلبت منه أن تراه معللة شعورها بضيق وملل فرحب بطلبها فانفرجت أساريرها ولمعت عيناها، ولكن سرعان ما تراجعت وشعرت بخيبة أمل وزمت على شفتيها حينما أخبرها أن تتفق أيضًا مع (سهيلة)، (ميران) و (شريف)،كانت تعتقد أنه يقصدهما فقط، ولكن لا مانع من ذلك ما دامت ستراه بعدها اتفق الخمس على الخروج معًا لرحلة يوم واحد إلى شاطئ العين السخنة يوم الجمعة المقبل وسترافقهم (تُقى).

كان لكل فتاة اهتمام مختلف عن الأخرى. (ميران) أحضرت معها العديد من مستحضرات العناية بالبشرة المسؤولة عن اسمرار الجلد ومنذ أن وصلت وهي تقوم بمزج هذه المستحضرات على ما ظهر من جسدها ثم استلقت أمام هواء البحر وتحت أشعة الشمس، بينما (سهيلة) لديها هدف أنبل وأصعب، فكانت تطارد (شريف) أينما ذهب حتى إنها تطوعت بأن تنتظر معه حتى يصلح إطار السيارة الذي تلف أثناء الطريق وطلبت من (تامر) بأن يذهب مع البقية حتى لا يقوم أحدٌ بمضايقتهم، (تُقى) كانت كالطفلة التي ترى العالم الخارجي لأول مرة قامت بارتداء ملابس البحر وارتمت به وتركت الأمواج تداعبها، (ريهام) أيضًا منذ وصولهم، تلح على (تامر) لينزل معها البحر، ولكنه كان يرفض حتى لا يثير حنق (شريف) إذا عاد ووجدهما الاثنين فقط في الماء، بعد مرور نصف الساعة على صمتها في حزن بدا عليها ولم يعد يطيقه فاستجاب لطلبها وهنا ابتسمت كالطفلة التي تسبق أباها ليبتاع لها الحلوى وحينما طالت قدميها ماء البحر أمسكت بيده خشيا أن تتزلق من الحصا وكلما تعثرت بواحدة اشتدت قبضتها الصغيرة على يده مستنجدة به في دلال، ظلت هكذا حتى غطى ماء البحر نصف جسديهما فوقفت أمامه ونظرت له وبدا بعينيها الكثير من الكلام، كان وجهها لامعًا، شعرها متهدلاً في خصلات متفرقة، بينما هو تجلى على وجهه الخوف والتردد من الاقتراب منها، تيقنت أنه لن يبادر بكلمة، فاقتربت منه بصوت خافت وسألته إن كان يريد أن يفصح بشيءٍ ولكنه أجابها "لا" وأشاح بنظره بعيدًا مما أثار غضبها فقد اعتقدت أنه ينظر إلى الرسم المنقوش على كتف (ميران) فصاحت بوجهه:

- إلام تنظر؟

- أبحث عن شريف، لا أريد أن يأتي ويشعر بالغضب.

- لماذا تخاف منه هكذا؟

- ليس خوفًا، ولكن أضع نفسي بدلاً منه وأنتِ بمثابة تُقى.

فاقتربت منه وقالت برِقة:

- بحبك.

شعر وكأن ماءً ساخنًا قد ألقي على وجهه الذي تضرج بالاحمرار فقام بخلع نظارته ووضعها مرة أخرى وظل يضغط على منتصفها بإصبعه حتى أوشك على الإفصاح بما داخله ثم قال بصوت متوتر:

- أين ذهبت تُقى؟

وظلَّ يتلفت يمينًا ويسارًا حتى لمحها تقف قرب مجموعة من الأشخاص فقال:

- دعينا نذهب إليها.

لم يكن هذا الجواب الشافي الذي تنتظره فاقتربت منه أكثر وبجرأة وهي تنظر له ثم علت نبرة صوتها قليلاً:

- بحباااك.

نظر لها وهو يبتسم محاولاً أن يغالب ما في قلبه، ولكن مع نظرتها ولمست يدها على يده تحت الماء ازداد اتقادًا وحاول أن يخرج الكلمة من بين شفتيه ولكن ثقل لسانه منعه لدقيقة فأصبحت عادة تلازمه كلما تعرض لانفعال مبهج أو محزن تلعثم وأصبحت مخارجه ثقيلة في النطق ولم تكن أول مرة تراه (ريهام) هكذا حدث مرتين أو ثلاث في الجامعة ولكنه لم يقص عليها تفاصيل الحادث الذي تعرض له وكان السبب في ذلك وبالرغم من الثقل نطقها بصعوبة.

- بحبك..

فجذبت يده لأسفل بقوة فهوي جسده في الماء حتى غمرته وظلا يسبحان، يضحكان ويتقافزان حتى انضمت لهما (تُقى) وكانت هذه المرة الأولى التي تري فيها أخاها يتعامل بعفوية ويضحك مع أنثى غيرها هي أو أمه، كل لمسة بينهما في هذه الدقائق شعرا كأنها هزات من النشوة تؤلف بين جسديهما، حتى لمحا (سهيلة) تأتي من بعيد تزم شفتيها، مربعة الأيدي، تجر قدميها في حنقٍ وخلفها (شريف) ينفث دخان سيجارته ويحوم بعينه على الشاطئ باحثًا عنهم.

- دعونا نخرج.

قالها رامقًا (ريهام) للتقدم بخطواتها للخارج، وحينما وصلت لرمال الشاطئ رمقها ابن العم بنظرة جمود حتى وصلت للمنشفة ولفتها على جسدها المبلول، وخلفها (تامر) عاري الصدر و (تُقى) بجواره، وما زال (شريف) يقف ينظر لهم باستنكار كان يفهمها الآخر جيدًا وشعر بالخجل منه مما جعله طيلة الرحلة بعيدًا نسبيًا عنها، ومع ذلك كانت تتبعه بنظرها وهو أيضًا ولكنهما حاولا ألا يظهرا ذلك للبقية، انتهى اليوم وعادت (ريهام) إلى منزلها حينما دلفت الشقة سمعت صوت أبيها يصيح في الهاتف يقول لعمها (إبراهيم):

- ما اكتشفته اليوم لن يمر بخير وكل قرش أخذته بالنصب سترجعه رغمًا عنك، سوف أذهب للمحامي غدًا وأعطيه الورق الذي عثرت عليه بحقيبة المحاسب المزوِّر الذي تركها بالخطأ وسأسترد مالي بالقضاء.

ثم أغلق المكالمة وهو يتصبب عرقًا ويستعيد أنفاسه بصعوبة، فاقتربت منه وسألت في حيرة:

- ماذا حدث يا أبي؟ هذه أول مرة تتحدث مع عمي هكذا؟ هل ستقاضيه؟

- لقد تحملت سوء معاملته كثيرًا بالعمل، ولكن حينما تصل للسرقة.. فكفى، سأمهله للصباح إن لم يرد المال كله الذي تلاعب به في الأوراق والإيصالات سأنفذ ما هددته به.

- ربما يكون هناك خطأ ما وأنت لا تدركه.

- الخطأ هو أنني لم أراجع خلفه الحسابات يومًا وأرتضي بالقليل الذي يمنّ على ويخدعني به كل شهر، ولكن الله غالب لقد نسي محاسب الشركة اليوم حقيبته وقمت بفتحها حتى أتأكد أنها تعود إليه، ولكني وجدت كشفًا بكل الأرباح الحقيقية لعدة سنوات ماضية والتي تثبت أن لي حقًّا بملايين الجنيهات.

- ملايين!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(5)

احذر.. حينما سترى أول خيوط الضوء للسهم المفقود سيحيط بك الظلام من كل اتجاه..

***

وفي اليوم التالي ذهب والد (ريهام) إلى مبنى المباحث بعد مشاهدة الفيديو المنتشر على مواقع التواصل الاجتماعي وأكد على أن من كانت به هي ابنته وأنه لا يعلم مكانها حتى الآن.

وضع (تامر البحراوي) تحت التحقيق في الاعتداء على الرجل في محطة المترو والآن حالته حرجة بين الحياة والموت، بالإضافة إلى أنه الوحيد المتورط في اختفاء زوجته المدعوة (ريهام محيي الدين) التي لم يستدل على مكانها حتى الآن، واليوم ستبدأ معه التحقيقات بمبنى المباحث التابع لمحل إقامته.

تتكون البناية من ثلاث طوابق ترص أمام أسوارها سيارات الشرطة، خلفها توجد عربة فول عم (رمضان) يلتف حولها كل صباح أعداد أكثر من المتهمين داخل الحبس، هذا بخلاف السيارات الملاكي المرصوصة في نطاقها في أنتظار فطورهم الذي يبرع عم رمضان في وضع الإضافات عليه من زيت حار وقطع الفلفل الحار وكثير من حلقات البصل المنقوع بالخَل علاوة على رائحه الباذنجان المقلي التي تعج بالمكان.

الطابق الثاني الأهم في البناية به ثلاث غرف الأولى للمقدِّم (مصطفى) رجل لا يعرف غير الالتزام بالقوانين لا يسمح بالهرج، قليل الابتسام جاد إلى أقصى حد، يكره الثرثرة الفارغة، الغرفة الثانية للضابط (عادل يعقوب) شخص لديه مواهب متعددة غير مهنته فهو يبرع في نقل أخباره مع أدق التفاصيل لزوجته من لحظة خروجة من باب البيت حتى عودته آخر اليوم، تضبط ساعة يدك على ميعاد وصوله المكتب، الساعة التاسعة بالثانية يلقي التحية على العساكر، يجلس على كرسي مكتبه التاسعة ودقيقتين يتلقى اتصالاً على الهاتف الأرضي من زوجته لتتأكد من وصوله ثم تملي عليه الطلبات التي سيحضرها عند العودة مساءً، ونفس الأشياء التي ستسمعها أكثر من مرة على مدار اليوم وكل يوم، غير هذا تهاتفه كل ساعة تقريبًا لتقص عليه شكواها المتكررة وكم هي مرهقة من أبنائه وما يفعلونه مع أدق التفاصيل، مثلاً كم مرة قامت بتغيير حفاضات الرضيع!! والتأكيد أن لا ينسى الميعاد الشهري للطبيب للاطمئنان على صحة الطفل وأسماء المدارس المقترحة التي بذلت مجهودًا في البحث عنها وضرورة الاختيار بينهم الآن؛ فالأيام تمر بسرعة والطفل أصبح عمره عامًا وشهرًا وسبعة عشر يومًا، ثم تنهي مكالمتها بكلمات لا تتغير أبدًا وتؤنبه على تقصيره معها وكم هي تضحية من أجله هو وأولاده وتختم "أصل الاهتمام مابيتطلبش".

الغرفة الثالثة للضابط (ياسر حسن ديهوم) في أوائل عقده الرابع يميل إلى البدانة، له صوت أجش مميز نبرته عالية، أكلح الرأس لديه شارب كث، عند التفكير أو حينما يتجلى مع نفسه فيمرر عليه إصبعه الخنصر والبنصر بداية من فتحتي أنفه وصولاً إلى أسفل ذقنه تاركًا شكلَ قوسين على جانبي فمه، لديه مقلتان حادتان النظرة، يذكر عنه أن اسمه يتصدَّر قائمة أفضل المحققين؛ لذا فهو الأقرب إلى المقدِّم (مصطفى) رغم الشد والجذب بينهما بسبب طريقة عمله التي لا يفهمها أحدٌ غيره يحتل الجانب الروحي معتمدًا على حدسه أكثر من المادي وهذا يتعارض مع طبيعة عمله، ولكن في النهاية

تؤتي بثمارها، يعتبر رئيسه (مصطفى) أباه الروحي ومعلمه والملاذ إذا أغلقت أمامه كل السبل سواء في حياته العملية أو الشخصية، وكعادته كلما احتاج لشيء قال:

- حسيبيين.

انتفض العسكري حسين من على كرسيه الخشبي ودخل حجرة الضابط (ياسر) الذي يقوم بحراستها ويجلس بجوارها لتلبية أوامره، وقف مستقيمًا شاهرًا كف يده اليمنى بجوار رأسه مرددًا في صرامة:

- أوامرك يا ياسر باشا.

- سأنتظر كثيرًا يا حسين؟

- آسف يا فندم، دقائق وسأعود بطلب سيادتك.

اتجه العسكري مسرعًا إلى خلف البناية لعربة فول "عم رمضان" وطلب منه تحضير الطلب المعتاد للضابط (ياسر)، حينما سمع الرجل الاسم ترك ما كان يحضره للزبائن وبدأ فورًا فيه، وفي غضون دقائق معدودة كان العكسري حسين يحمل صينية دائرية فضية اللون بها طبقٌ من الفول عليه خليط من الزيت الحار والليمون والبصل، طبق به بيض زيَّنَه برشه من الكمون والشطة وآخر به أصابع بطاطس وقطع باذنجان محمَّرون في الزيت حتى اكتسبوا اللون الذهبي وعليهم نثرة من الفلفل الأسود وقليل من الملح ولم ينسَ عم (رمضان) وضع ثلاثة أرغفة من الخبز الطازج على حسب أوامر (ياسر ديهوم)، وحينما عاد له حسين ووضع الصينية أمامه استنشق الضابط رائحة الأكل الشهي وسرعان ما التقط الخبز وقام بالتهام قضمة كبيرة مغمسة من طبق الفول وقال وهو يمضغها بصوت متحشرج غليظ:

- القهوة يا حسين.

- قبل أن تنهي فطورك ستكون جاهزة.

غادر العسكري بينما الضابط يزوم ويتلذذ بقضمة الباذنجان ومعها العديد من أصابع البطاطس، وقبل أن ينهي مضغهم دخل عليه المقدِّم (مصطفى) فوقف (ياسر) محاولاً إخفاء كرات الأكل داخل فمه ببلعها ليلقي التحية العسكرية على رئيسه الذي لوَّح له بأن يجلس ويكمل فطوره، أكل الضابط ما تبقى في فمه وشرب جرعة ماء ونظف يده بمنديل وقال:

- خير يا افندم، هناك سبب مهم خلف هذه الزيارة الصباحية؟

- ليس بخير أبدًا. لدينا حادث مهم ونريد كشف خباياه في أسرع وقت، هناك رجل مصاب بشق في بطنه وسيدة لم يتم العثور عليها حتى الآن والفاعل لدينا، ولكن الناس لم تكف عن مشاركة الفيديو على مواقع التواصل الاجتماعي وتعليقاتهم الحادة دون وعي لما خلف الأمور، هذا بخلاف أن القيادات تطالبني بسرعة التحقيقات حتى لا تأخذ مجرى آخر مِن قضايا الرأي العام وهي في النهاية خلاف أو تصفية حسابات بين زوجين.

- هذا ليس بجديد على الشعب المصري الأصيل يا افندم كلما اشتدت مصاعب الحياة عليهم يجدون مخرجًا من الشدائد إمّا بالنكتة والسخرية من أوجاعهم أو تهويل فضائح الفنانين والتعاطف المبالغ فيه مع من لا يستحق. نحن شعب عاطفي يا باشا.

حاول (ياسر) أن يخفف من ضيق رئيسه، ولكنه لم يفلح، استدرك الموقف وصمت وأكمل السيد في صرامة:

- ليتها هكذا، أنت تعلم أن هذا النوع من الحوادث تكون أحداثه متوقعة، انتقام، خيانة ولكن هذا الحادث به حلقة مفقودة، الزوج ينكر تمامًا ما رآه في الفيديو ومنهار، وكلما اقترب أحدٌ منه حتى يسأله عن زوجته فيسمع أنها مفقوده حتى الآن لم تعُد لأولادها يصمت وبعدها يفقد الوعي.

- ربما يدعي الجنون، وردَ علينا كثيرًا مثله ما الجديد؟

- الجديد!! إنه يدعي وجوده في مكان آخر في نفس التوقيت ولديه شهود.

- شهود على ماذا!!!! كاميرا المحطة التقطته وهو يجذب زوجته ويتهجم على الرجل ويطعنه ومنها فرَّ إلى عربة المترو وأيضًا العثور على تحقيق شخصيته بجوار الرجل.

- هذا غير أنه عاد إلى اتجاه الكاميرا من بعيد وكأنه يراها، وعن قصد ينظر إلى عدستها ويفصح عن نفسه.

وهنا رفع (ياسر ديهوم) حاجبيه وتحركت أصابعه لتداعب شاربه وهذا لا يحدث إلا إذا وجد ما أثار اهتمامه، فأكمل رئيسه:

- لذلك أخبرتك أن هناك أمرًا ليس طبيعيًّا في تسلسُل الأحداث المعتاد عليها والأغرب من ذلك كله، أن والد السيدة المفقودة أتى إلى هنا وظلّ يردِّد ويصيح أنه يريد معرفة ما حدثَ لابنته وحينما أراد أحد الضباط تهدئته بأن المقطع المصوَّر يوضح تورط زوجها؟ لأنه آخر شخص كان معها، أجابه "نعم بالفعل هي ابنتي من كانت بالفيديو ولكن من المستحيل أن يفعل تامر بها سوءًا لأنه يحبها أكثر من نفسه، ربما يصدق عقلي أنني السبب في فقدان وأذية ابنتي، ولكن زوجها أبدًا؛ فهو بعيد كل البعد عن هذه الشبهة، ولكن لا أفهم حتى الآن ماذا يحدث؟"

- بات الآن الأمر أكثر تعقيدًا.

همَّ السيد (مصطفى) بالوقوف وقال بصرامة شديدة:

أريد منك إنهاء التحقيقات في أسرع وقت لا أريد أن ينعتنا أحدٌ بالتقصير سواء من الناس على "الفيسبوك" وغيره أو من القيادات التي تتابع حركة الشارع والشعب.

قالها الرئيس وترك الضابط معقود الحاجبين تبدو علامات الحيرة على وجهه؛ فما قاله رئيسه كان بمثابة رمية خفيفة لكرة التنس من قبله، ولكن (ياسر) لم يستطع التقاطها وتركها ورحلَ وهو يبحث عنها محاولاً أن يشيح الغموض عن الحادث.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(6)

افتح سبيلاً للحب أولاً.. ولا تقلق ستشق الخيانة الطريق إليك لاحقًا..

***

زادت المشاجرات بين والد (ريهام) وأخيه (إبراهيم) حتى وصل الخلاف لمنتهاه، وبالفعل قام والدها (محيي الدين) بما هدَّد به وذهب إلى المحامي وسلَّمه الأوراق والفواتير التي أخذها من حقيبة المحاسب المتآمر الذي يعمل لدى أخيه، فطمئنانه المحامي بدوره أن حقه مضمون والتلاعب واضح بالأوراق التي بين يديه. وبالفعل بعد اتباع الإجراءات القانونية ومحاولات محامي الخصم بنفي التهمة وإسقاط أي حقوق مالية للسيد (محيي) أقرت المحكمة بدفع مبلغ مالي قدره أربعة ملايين جنيه مصري، وغير ذلك عليه دفع التعويض المالي بالقضية والتي قدرت بمبلغ كبير وإن لم يدفع المبلغ المطلوب يتم الحكم عليه بالسجن.

فضت الشراكة بين الأخوين ومعهما صلة الرحم وحلت مكانها العداوة بعد أن دفع العم (إبراهيم) أموال أخيه والتعويض ولم يتبقَّ له إلا القليل الذي عجز معه استمرار الشركة في العمل كما في السابق، غير ذلك قام أخوه (محيي الدين) بفض الشراكة وبيع نصيبه لمستثمر آخر لم يستطع العم في مجاراته وقرر بيع نصيبه هو الآخر له، ومن حينها لم يهدأ للعم بال وبات يفكر ليلاً ونهارًا كيف يعيد ما سلبه أخوه إياه وكأنه أخذه بدون حق وأقسم إن ناره لن تخمد إلا بعد أن يحرق قلب أخيه واستعادة ما فقد، بينما الآخر أصبح يملك الملايين بعد أن كان يقتات بالفتات، وفي ظل هذه الظروف حاول (ريهام) و (شريف) أن يحافظا على الصداقة التي تجمعهما بعيدًا عن خلافات الآباء، ولكن رغمًا عنهما تأثرت بشكلٍ أو بآخر ليس لهم يد فيه، فامتنعت هي بدورها عن الذهاب إلى بيت عمها (إبراهيم) اقتصرت على الاتصال للاطمئنان على زوجة عمها من حين لآخر، وكانت لا تتعدى الدقيقتين، لم يعد (شريف) يملك من ماء وجهه الكثير ليذهب إلى بيت عمه أو الاختلاط معها كما في السابق فأصبح لا يتعدى التواصل عن محادثات "واتساب" ومكالمات هاتفية على فترات متباعدة حتى عادا إلى الجامعة واستكمال النصف الثاني من العام الدراسي وأصبح التلاقي يزداد مرة أخرى تدريجيًّا، ولكن بحدود في التعامل وبطبيعة الحال أخذت (سهيلة) ذات الوجه المقتطب جانب (شريف) الزوج المستقبلي كما تخطط وأصبح بينها وبين صديقتيها (ريهام) و (ميران) حاجز، فهي لا تضيع فرصة تستطيع من خلالها أن تثبت لـ (شريف) ولاءها له وأنه لا مناص من حبها الذي لم يستجب له حتى الآن وكان لديها من الإصرار الذي يدفعها وباستماتة إلى الركض خلفه حتى تراه جالسًا في بيتها ومع والدها يطلب الزواج منها.

على الصعيد الآخر تغيرت طبيعة العلاقة بين (ريهام) و (تامر) أصبحت أكثر وضوحًا وكلٌّ منهما يفصح عن مشاعره للآخر دون خجل فبات اليوم يبدأ بهما وينتهي وهما سويًّا، وها هو يستيقظ ليمسك بهاتفه ويبحث عن نصفه الآخر.

- حبيبتي.

أجابته في نفس اللحظة وكأنها كانت تنتظر رسالته فكتبت بلهفة وابتسامة خجل ارتسمت على وجهها.

- حبيبي.

- صباح الخير.

- متى استيقظت؟

- منذ قليل.

- أفتقدك.

- أنا أيضًا.

- سأبدل ملابسي وأذهب للعمل، وبعد الانتهاء منه سأمر عليك بالجامعة.

- اتفقنا.. وأنا بانتظار ميران وبعدها نذهب للجامعة.

- اعتني بنفسك جيدًا، بحبك.

- أعشقك.

توطدت علاقة (ميران) و (ريهام) بطرق غير مسبوقة بالرغم من صداقتهما لم تكن تذهب (ميران) بشكل مستمر لمنزل صديقتها؛ فمنذ بداية النصف الثاني من العام الدراسي وهي في لجوء تام عندها صباحًا ومساءً حتى يوم العطلة لم تفسر (ريهام) هذا التوطد المفاجئ غير أن صديقتها اقتربت منها حينما تغيرت (سهيلة) معهما دون أسباب واضحة مما أحزنها ولكنها تخطت ذلك لوجود (ميران) بجوارها التي أصبحت تصنفها أنها الصديقة الوفية الوحيدة لها. لم تتأثر علاقة (ميران) و (سهيلة) بالرغم الشرخ الذي حدث بين الجميع، ذلك لأن كلًّا منهما لها هدف واضح للأخرى (سهيلة) تريد (شريف) أن يتزوجها ولن ترضى بغيره بديلاً، بينما (ميران) كان هدفها أسمى وأنبل من وجهة نظرها، بعد أن عرفت الخلافات التي مرَّ بها والد (ريهام) والملايين التي أصبحت في حوزته، فهنا وجدت ضالتها ولم تعِر انتباهًا لأشباه الأمور مثل أنه والد صديقتها أو يكبرها سنًّا فكلها جوانب ثانوية يمكن التغاضي عنها مقابل المال المنشود، أصبحت تتعمد الذهاب إلى المنزل في عدم وجودها، تسنح لها الفرصة للاختلاء بالهدف والاستيلاء على اهتمامه وقلبه ومن ثم بعد أمواله. وبالفعل لم تبذل مجهودًا كبيرًا في ذلك فكانت الوحدة التي يعيشها السيد (محيي) خامة جيدة تشكلت معها بالقليل من الميوعة التي أثارت انتباه وشهوة الرجل، ذات صباح بعد أن استيقظت (ريهام) دخلت لتنعش جسدها بحمام دافئ قبل الذهاب للجامعة وفور دخولها كان وصول (ميران) على باب الشقة ففتح لها "عمو محيي" سابقًا أما الآن فأصبح "أستاذ محي" الذي بادلها التناغم وأصبح اسمها "ميرا" وبعد أن دخلت وجلست سألها:

- ريهام، تستحم وأنا سأحضر كوب شايٍ، هل تريدين واحدًا ساخنًا أم تفضلين مشروبًا آخر.

فقامت من مقعدها واقتربت منه وهي تمرر أصابعها على صدره من بين فتحات أزرار قميصه وتهمس:

- أريد مما ستشربه أنت.

- ولكني أعرف أنكِ لا تحبين الشاي.

- أصبحت أحبه بجنون.

شعر الرجل بشعلة من نارٍ تسري في جسده فاتجه إلى المطبخ بعد أن تعرَّق جبينه وخلفته (ميران) ببنطالها الأبيض الضيق الذي يبرز كل تفصيلة في جسدها وصوت كعب حذائها الذي يرن على أوتار قلب السيد (محيي) حتى شعر بأنفاسها وهي تقف خلفه مباشرة، فاعتدل بمواجهتها وقال وهو ينظر بعينيها:

- ماذا تريدين مني؟

- كل الخير.

ثم اقتربت أكثر منه حتى تلامست الأنوف واختلطت الأنفاس وهمست بحروف متقطعة:

- هل أخبرتك ريهام بأن هناك شابًا تقدَّم أمس للزواج بي!

- شاب محظوظ، سيتزوج أجمل الفتيات.

- لا، لا أنا لم أوافق عليه.

- لماذا؟

- لأنه يكبرني بعامين فقط.

- ممتاز هذا فارق مناسب.

- أبدًا هذا ليس مناسب لي على الإطلاق، أنا أفضِّل الرجل الناضج الذي يكبرني بالكثير والكثير.

- ولكن كل البنات في مثل عمرك يفضلن الشباب وقصص الحب الأسطورية التي تنتهي بالزواج.

- لا أريد شابًا ساذجًا، كل همه أن يشعر برجولته من عدد الفتيات اللواتي يلتفون حوله، أفضله أكبر عمرًا يستطيع أن يحتويني ويفهم احتياجاتي ويكون عاقلاً ولديه خبرة في الحياة.

وهنا رأى في عينيها الضوء الأخضر فتجرأ واقترب منها ووضع يده على رقبتها ومال برأسه وإذا به يهم ليلثم شفتيها، فيسمع صوت باب الحمَّام فابتعدوا وعاد ليحضر الشاي ومسام جسده كلها تنشع عرقًا بينما هي تتجه للخارج وهو يتابعها بعينيه بداية من حذائها ذي الكعب العالي الذي ساعد في إبراز تفاصيل جسدها وظل يميل مع خطاها حتى غابت عن نظره، ألقت السلام على صديقتها وقبَّلتها ودخلت معها غرفتها، لم تقم (ريهام) بارتداء ملابسها فأمسكت بهاتفها لتتفحصه عسى أن يكون هناك رسائل من حبيبها، ولكنها لم تكن واحدة بل عشرين رسالة كل واحدة منهم بها كلمة واحدة وهي اسمها فأجابت عليه وعلى وجهها ابتسامة خجل:

- قلب ريهام، عيون ريهام.

فاستقبلت بعدها فيديو قام (تامر) بتسجيله وهو يغني لها أغنية "إزازة فودكا" لطالما كانت تحبها وترددها، لم تستطع أن تحجم فضولها وفتحت الفيديو بصوت عالٍ بالرغم من وجود صديقتها التي لم تكن تعلم شيئًا عن علاقتهما قبل هذه اللحظة، تحركت أصابعها على حروف الهاتف وبابتسامة عريضة كشفت عن أسنانها الصغيرة كتبت:

- بحبك.

لم تعِر (ريهام) انتباهًا لوجود (ميران) التي صمتت متعمدة حتى صوت أنفاسها حاولت كتمانه حتى ترى نهاية أحداث مسلسل العشق الممنوع الذي يجري أمامها، ومع ذلك لم تتمكن من إخفاء نظرات الاستنكار التي بدت على اتساع حدقتيها وانخفاض أحد الحاجبين وارتفاع الآخر، بينما الأخرى ظلت تعيد مشاهدة المقطع المصوَّر وكل مرة تركز على تفاصيل بوجه (تامر) مع كلمات الأغنية ومعها تزداد علامات الإثارة على وجهها "فلو يعلم الرجل عدد المرات التي تعاود الأنثى قراءة الرسائل ومشاهدة وسماع المقاطع التي يرسلها لها وحدها تفوق عدد مرات شروق الشمس.

- أريد أن أفهم ماذا يحدث بالضبط؟

قالتها (ميران) وهي ترتكز بوجهها على إصبعيها الخنصر والبنصر وتمط شفتيها مستنكرة ما تتوقع سماعه، بينما الأخرى شعرت بالخجل ظهر على ابتسامتها ولمعة عينيها وإجابتها وهي تنظر في شاشة الهاتف:

- ماذا بك! إنه تامر.

- أجل أعلم إنه الأستاذ روميو.

- روميو!!

قالتها (ريهام) وقد تبدلت ملامحها واختفت الابتسامة حينما تأكدت من نظره صديقتها أنها تتحدث من باب السخرية، فأكملت الأخرى.

- متى حدث ذلك؟ وكيف لك أن لا تخبريني؟

- منذ يوم الرحلة.

- كنت أشعر بأن هناك شيئًا غريبًا بينكما ولكن عقلي كذبني واعتقدت أنك من المستحيل أن تنظري لشاب مثله.

قاطعتها (ريهام) بغضب وصوت مكتوم:

- لن أسمح لك أن تتحدثي عليه بهذه الطريقة السخيفة، وحذار يا ميران تتلفظي بكلمة عليه أمامي أو خلفي.

- أكاد أجن، لا أصدق يا ريهام بأن بعد كل هؤلاء الذين يتمنون كلمة منك تكون نهاية المطاف عند هذا.

ثم عادت أدراجها وصمتت ثم أكملت:

- آسفة أقصد الأستاذ المبجل تامر.

- ماذا به؟ شخص حنون يعرف كيف يجعلني سعيدة، أشعر معه بالأمان، ناضج يملك عقلاً يفوق عمره، يخطط جيدًا لمستقبله والأهم أن عينه لا تزوغ يمينًا ولا يسارًا خلف كل فتاة يراها فهو مكتفٍ بي، وغير هذا وذاك أنا أحبه.

- كل هذا نقرأه في القصص نشاهده بفيلم رومانسي نهايته موت البطل والبطلة، ولكن الحياة لا تعترف بشيء غير المال هي المصدر الوحيد للأمان، إنما الحنان والحب لن يكفيا احتياجاتك ولن يؤسسا بيتًا في مكانٍ راقٍ ولا شراء سيارة فارهة.

- كفاك استخفافًا، احتفظي بهذه الفلسفة العظيمة لنفسك.

- فلسفة!! كان أهون عندي أن أراك مع شريف ابن عمك بدلاً من سهيلة التي تقوم بممارسة كل الحيل حتى تقتنصه من بين الأخريات.

- شريف مثل أخي، ثم إذا تحدثنا من منطلق تفكيرك المادي فهو الآن لا يملك إلا القليل.

- أكيد والده يحتفظ ببعض من المال، غير ذلك شريف، شاب وسيم كل الفتيات يلاحقنّه أينما ذهب.. إنما تامر!!

قالتها بامتعاض وتحركت شفتاها يمينًا ويسارًا، فوقفت (ريهام) معترضة وعلت نبرة صوتها بصرامة.

- كفاك، ألم أحذرك أن تتحدثي هكذا عليه.

وقبل أن تجيب الأخرى أكملت (ريهام):

- عذرًا، لن تخرجي من الغرفة حتى أرتدي ملابسي.

شعرت الفتاة بأنها تجاوزت الخط الأحمر للمرة الثالثة فاقتربت من صديقتها وقالت لها بهمس يتخلله عاطفة مصطنعة واعتدلت معها ملامح وجهها:

- لا تغضبي أنا لا أقصد الإهانة، أهم شيء أن أراك سعيدة، كما أن حُبَّك له زاد وجهك جمالاً على جماله.

نسيت في لحظة استخفاف صديقتها بحبيبها وفرحت بما قالت وبعد خروجها من الغرفة قامت بارتداء أجمل ما لديها استعدادًا لمقابلته في الجامعة بعد انقضاء ساعات عمله. وأول ما فعلته (ميران) فور وصولها الجامعة أنها حكت إلى (سهيلة) عن علاقة (تامر) و(ريهام) التي استنكرت هي الأخرى هذه العلاقة ونعتت صديقتها بأنها "تعاني من قصر نظر لا تعرف أين مصلحتها"

ومنها ذهبت (سهيلة) إلى (شريف) وعرضت عليه أن يحتسيا شرابًا معا بينما ستخبره بأمرٍ شديد الأهمية فتوقع أنها تريد إثارة غضبه كما تفعل دومًا وتتحدث في نفس الموضوع وعلاقته بالفتيات

ومع ذلك لم يرفض طلبها أنه رأى في عينها التي تزوغ هنا وهناك شيئًا أثار فضوله هذه المرة؛ فسألها مع تنهيدة:

- أفرغي ما لديك.

فاعتلت وجهها ابتسامة ماكرة وهي تهمس في دلال مصطنع:

- أنت تعلم جيدًا أنني لا أخفي عنك شيئًا حتى لو فعل الجميع ذلك.

- من الجميع؟

- مممم.. أقصد ريهام، ميران وتامر.

- ماذا تقصدين؟ وما الشيء الذي يخفونه عني؟

نظرت له بعينين متسعتين محاولة أن ترسم ملامح البراءة على وجهها ولكنه قاطعها بصبر نافدٍ:

- إئتِ بما عندك وإلا سأتركك وأر...

قاطعته بعجل قائلة:

- هل تعلم بالعلاقة التي تجمع ابنة عمك و تامر؟

- عن أية علاقة تتحدثين يا سهيلة؟

- توقعت هذا أنك لا تعلم أنها تحبه وهو أيضًا.

- ما هذا الهراء! لا يجمعهما إلا الصداقة ليس أكثر من هذا.

- ليست صداقة وحسب.

وقبل أن تكمل توقفت حينما رأت الغضب الذي اعترى وجه (شريف) وحاولت أن تخفف من حدته وظلت تبحث في حقيبتها عن اللا شيء حتى يهدأ، وبعد شهيق وزفير ساخن وقف واضعًا يده على حقيبتها وشدد قبضته وسألها في صوت مكتوم:

- من أين جئتِ بهذا الكلام؟ ولماذا لم يصارحني بذلك؟ وكيف له أن يفعل ذلك من خلفي وفي المقابل يتعامل أمامي بأنهما مجرد صديقين؟

- ميران! كانت بالبيت عندها صباحًا وسمعت حديثهما ورأت إلى مدى تطورت العلاقة بينهما، ولكني أريدك أن تهدأ قليلاً، أنا أعلم أنها بمثابة أختك وخشيت أن تحكي لك حتى لا تلاحقها بالأسئلة عن ماذا يحدث بينهما وتحكم عليها أن لا تراه بمفردها كما فعلت من قبل حينما كانت في علاقة مع شاب آخر من عامين..

أفلت الحقيبة من قبضته في غضب وتركها وانصرف بخطى وئيدة وشرٍّ مُحكَمٍ على وجهه.

مرت الساعات، أنهت فيها (ريهام) محاضرتين متتاليتين وفي هذه الأثناء ظلت (سهيلة) تبحث عن (شريف) في أرجاء الجامعة ولم تجد له سبيلاً حتى سمعت ضجة وصوت شجار قُربَ بوابة الدخول وأسرعت خطاها هي والكثير ليروا ماذا يحدث، بمجرد دخول (تامر) الحرم الجامعي ولقائه بحبيبته التي كانت تنتظره بلهفة وتمد يدها بالسلام ظهر (شريف) فجأة واقفًا خلفه وقبل أن يستدير له انهال عليه بالضرب والسباب ومعه علت الصرخات، ولكن سرعان ما تدخَّل الأصدقاء وفضوا الاشتباك.
وبعد أن هدأت الأجواء عاتبها (تامر) على ما حدثَ لأنه طلب منها مرارًا أن يصارح (شريف) بما بينهما ويصارحه بما يحمله من نية الارتباط الرسمي لأنه إذا علم بالأمر يعتبرها إهانة وجرمًا في حقه لأنه بمثابة أخيها ومسؤول عنها غير أن معظم الوقت الذي يقضونه معه لم يلاحظ شيئًا غريب فنحن بذلك تعمدنا إخفاء الأمر عليه وهذا في قانون الذكور استخفاف برجولته وخيانة الثقة والصداقة التي تجمعهم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(7)

احذر أن تحكم على حدثٍ أو شخصٍ بنظرة سطحية فربما يحمل لك بين طياته ما يغيِّر مجرى حياتك حتى الرمق الأخير.

***

بعد أن أنهى الضابط (ياسر ديهوم) حديثه مع رئيسه، ظلَّ يفكر بما قال وخصوصًا النقاط التي يتوجس منها خيفة في القضية؛ فقام بتشغيل المقطع المصور مرارًا إلى أن زادت شكوكه وجهرت ظنونه على تقاسيم وجهه ووصل الفضول لمنتهاه ومعها احتسى ثلاثة أكواب من القهوة السادة في غضون ساعة، وأخيرًا لفظ لسانه بأول كلمة وهي اسم حارس مكتبه (حسين) قائلاً:

- اذهب إلى الضابط عادل واطلب منه الحضور إلى هنا لأمرٍ هامٍ.

أتجه العسكري بخطى سريعة إلى المكتب المجاور وخرج منه وهو خلف الضابط الذي تملَّكه الفضول وحينما قرع الباب ودخل قال بصوت عالٍ:

- ماذا هناك؟ إنه لأمر جلل، هل أكلَتْ القطة صغارها، لم تطلب مني أن آتي إلى مكتبك منذ زمنٍ بعيدٍ.

- الموقف لا يحتمل أمثال جدتك الكريمة، اجلس أريدك في أمرٍ مهمٍّ.

- أعلم ما هو.. قضية شاب المقطع المصور الذي انتشر في كل الأرجاء صباحًا، عرفت أنك تكلفت بالتحقيق فيها، تهانينا يا صديقي إنها قضية باتت الآن تهم الشارع المصري الذي تعاطف مع الفتاة التي ظهرت في (الفيديو).

- الفيديو!!!

- ما به؟

- هذا المقطع المصوَّر المنتشر على كل مواقع الإنترنت غير المقطع الذي تم التقاطه من كاميرا المحطة.

- وما الغريب في ذلك يا ياسر، الجميع يحمل هواتف محمولة وبها كاميرات يلتقطون صورة كل فيمتو ثانية، فهل سيمر هذا الحادث أمامَهم مرور الكرام

- هذا ما أقصده؛ بمجرد أن ينشب خلافٌ في الشارع تجد له أكثر من مقطع وصورة، ولكن هنا لا يوجد إلا هذا فقط وتم تصويره من مسافة بعيدة يكاد يظهر التفاصيل بصعوبة وغير ذلك هذا الشخص الذي قام بالتصوير يرى أمامه رجلاً ينشق نصفه بسكين وسيدة فاقدة التوازن وتسقط أرضًا وكل الأجواء بها شيء مريب ولا يقدم على الأقل أن ينادي أحدًا للمساعدة وحتى الآن لا نعلم من قام بتصوير الفيديو.

لوهله تشتت تفكير الضابط وقبل أن ينجرف خلف شكوك زميله قاطعه قائلاً إن أشخاصًا تخشى من إقحام نفسها في خلاف وخاصة أن الشاب يحمل بيده مطواة.

وهنا احتد النقاش بينهما وبدأ (ياسر) يتحدث بعصبية ويدافع عن وجهة نظره ويؤكد ظنونه أن هناك مجهولاً يحاول إغلاق دائرة الاتهام على (تامر) فقط وتعتيم الضوء عن جوانب أخرى مبهمة، وهنا حاول (عادل) ثانيًا أن يهدئ من حدة زميله بالرغم من اقتناعه بما يقول ولكن محاولاً منه ربما طرح الرأي والرأي المخالف يصل بهما لشيء خلف الستار فقال له:

- أرى أن كل هذا طبيعي ربما يكون أحد الركاب وخشي الاقتراب كي لا يصاب بمكروه.

وهنا واصل (ياسر) استماتة في الدفاع عن وجهة نظره مفسرًا ما يجول بخاطره؛ فقال بينما أصابعه تداعب شاربه:

- وإذا أخبرتك أن الحادث كان حوالي الساعة الثانية عشرة مساءً، وأن المقطع الوحيد الذي ظهر على "اليوتيوب" كانت انطلاقته الساعه الرابعة صباحًا، إذًا من له المصلحة في هذا؟ ومَن المستفيد؟ربما لديه شريك واختلفا في النهاية؟ والسؤال الأهم: مَن هذا وذاك، أين هي ريهام؟ وماذا فعل بها؟ ولماذا كان ينظر لعين الكاميرا قبل أن يعتدي على الرجل وعلى زوجته؟ مجنون مثلاً أم تحت تأثير مخدِّر ما؟ أو كان ينظر دون وعي أنه أمام كاميرا.

حاول (عادل) أن ينطق ولكن قبل أن تنفرج شفتاه قاطعه الآخر مواصلاً ما يقول:

- آخر وأهم سؤال: هل تم اختطافها وهي الآن في مكان مجهول أم أنه تخلص منها تمامًا؟؟

أمسك (عادل) علبة لفائف التبغ من على الطاولة وأشعل واحدة ثم توجَّه للنافذة، وأخذ ينفث دخانها في صمتٍ، بينما الآخر يرمقه بفضولٍ ليتكلم حتى يعرف ما يجول بخاطره وإذا به فجأة يستدير ويعود أدراجه في جلسته ويخبره بصوت خافض.

- هذا الشاب يحمل الكثير من الخفايا، وهذا الحادث يحمل مفاجأة كبيرة للجميع.

- حسبي الله ونعم الوكيل، وما الجديد الذي توصلت له هذا ما أحاول أن أخبرك به.

- اصبر، لم أكمل بعد، زوجته هي الخيط الذي يجب أن تتبعه وسيصل بك لأمرٍ مهمٍّ.

وهنا تملك (ياسر) الإحباط من هذه المناقشة التي لم تثمر بشيء مفيد وأخبر زميله بأنه كيف يتتبع خيط لا يعلم أحدٌ مكانه، الزوجة مفقودة والشاب ينكر كل شيء.

تمتم (عادل) بشيء من البلاهة مما دفع (ياسر) للصياح بوجهه فانتفض على صوته وقاطعه مفسرًا:

- لا أقصد أن تتبع الزوجة، أعني أن تبحث، ربما يكون الحادث مثل كل الحالات التي نراها يوميًّا سيدة قامت بخيانة زوجها فأخذها وهو في قمة غضبة لا يدري ما يفعل وحينما اعترض الرجل قام بشق بطنه بشكل فج لأنه تحت تأثير الصدمة ومحتمل جدًّا أن يكون فعلَ بزوجته أسوأ من هذا حتى يتخلص منها.

ثم سكت دقيقة وأكمل أن يحاول الإنجاز في التحقيق ولا يدخل نفسه في متاهات ويفتح أبوابًا لن تصل به إلى معجزة كونية، فإنه شاء أم أبى المتهم الوحيد على الساحة هو الشاب، وغير ذلك المقدم (مصطفى) لن يصبر كثيرًا لأن الحادث أخذ شكل الرأي العام والكثير وخصوصًا منهم السيدات الناقمات على أزواجهن ينشرن على مواقع التواصل الاجتماعي منذ الصباح نواح على حال الفتاة ويا ترى ماذا فعل بها طويل الناب إنسان الغاب زوجها. هذا غير المقاطع التي قامت الفتيات مرهفات الحس والشباب معارضو النظام بتصويرها، وأننا سوف نهدر حقها بالتباطؤ مثل الأفلام الأبيض والأسود سوف تصل عربة الشرطة بعد إسدال الستار عن النهاية.

مط (ياسر) شفتيه وهو يتنهد في حيرة؛ لأنه يعلم في قرارة نفسه أن ما يقوله زميله يحمل بعضًا من الصواب وبالرغم من ذلك قال وبشكل صارم:

- أثق بأن هناك حلقات مفقودة ولن أغفل عن واحدة منهن إذا تملكني الشك حتى ولو لم أملك دليلاً ماديًّا عليه ووصل بي الصدام مع الرئيس أن أترك هذا التحقيق لغيري، ولكن أبدًا لن أعرِّض بريئًا لظلم يقضي بسببه باقي عمره بين القضبان لأرضي جهات معينة.

- متى ستبدأ التحري والتحقيق؟

- أنهي صلاة الظهر وأبدأ بعدها على الفور.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(8)

يتعين عليك أحيانًا النظر بعيدًا.. حتى يتضح لك رؤية ما هو قريب..

***

حاول السيد (إبراهيم) مرارًا أن يلحق الأذى بأخيه (محيي الدين) ليسترد أمواله التي أخذها منه بالمقاضاة أو يجعله يخسرها بشكل أو بآخر حفاظا على ماء وجهه المهدور. وبعد تفكير مديد جلس مع ابنه (شريف) وقال مقترحًا وبحماسٍ:

- شريف، أريد منك أن تختار واحدًا من أصدقائك تثق به كثيرًا وندعه يظهر في طريق عمك وكأنها عن طريق الصدفة ويعرض عليه صفقة وهي شراء فيلا في موقع متميز بسعر مغرٍ جدًّا ولكن المالك يريد بيعها على وجه السرعة لدواعي سفر أو احتياجه الشديد للمال.

وهنا بدا على وجه (شريف) الملل وأشعل سيجارة محشوة ولم يعد يركز في خطة أبيه المملة، وظل يهز برأسه كأنه توقع باقي الحديث، ولكن الأب ما زال متحمسًا لما خطط له وأكمل:

- ويقوم الشاب بزرع الطمع في قلبه بأنها صفقة عقارية مربحة ويقوم ببيعها مرة أخرى بسعر أكبر بكثير مما اشتراه به وسيكون مكسبها مضمونًا.

وهنا رن هاتف (شريف) وقبل أن يهم بالفرار ويجيب، قاطعه والده:

- أغلق هذا الهاتف الجزء. التالي هو الأهم في الخطة.

وبعد أن ضيق عينيه قال:

- بعد أن نأخذ المال نجعله يوقع على عقد مزور وإذا نجحنا نجعله يوقِّع أيضًا على إيصال بمبلغ مالي كبيرٍ جدًّا نستخدمه ضده في حالة حاول إثارة متاعب وجعله دائمًا تحت التهديد.

بعد أن أنهى السيد (إبراهيم) خطته وقد لمعت عيناه من شدة انبهاره بما قال وتوقع أن يجد المثل لدى (شريف) الذي أمسك بهاتفه الذي لم يتوقف عن الرن وقبل أن يقوم قال له مستنكرًا:

- هذه الحبكة تناسب مسلسلاً هنديًّا وليس خطة ينخدع بها عمي محيي هو ليس بساذج، وإن كنت نهبت ماله من قبل هذا لأنه لم يكن مهتمًا بالعمل ولا الحسابات المالية غير ذلك لأنه دائمًا كان يعترف بأنك بذلت مجهودًا منذ الصغر مع والدك في العمل بينما هو كان يدرس ويعيش حياته وينفق المال ولكن مع أول فرصة أتيحت أمامه استرد ماله كله دفعة واحدة وبدون مجهود.. ونصيحة مني يا أبي يجب أن تعترف بأن هذا حقه والآن عاد إليه.

- لعنك الله أنت وهو، اذهب من أمامي وأسكت هذا الهاتف حتى لا أهشمه فوق رأسك.

قالها وهو يستشيط غضبًا من رد (شريف) وظل يسبه حتى اختفى من أمامه وذهب (شريف) إلى غرفته ليجيب على (سهيلة) التي لم تكف عن الاتصال به منذ نصف ساعة ليفاجئ بأنها هي الأخرى تصرخ بوجهه وتصفه بالخائن فيجيب عليها:

- ما بالك؟ أكنتِ تجلسين مع أبي وطلب منك أن تكملي سبابه!

- مَن هذه الساقطة التي وضعت لك قلبًا أحمر على صورة الفيسبوك التي قمت بتحديثها منذ ساعة وأربع وثلاثين دقيقة.

ضحك (شريف) عاليًا ثم أجابها بسخرية:

- هذا ليس من شأنك.

لم تعِر (سهيلة) اهتمامًا لما قال وأكملت بكلمات دائمًا ترددها له لتقنع عقله بأنها ليست خيارًا أمامه بل هي واقعه الذي لا بُدَّ أن يتقبله رغمًا عنه، بينما هو يستمع لصراخها بهدوء أعصاب يأتي إليه والده ليستكمل حواره الذي لم ينتهِ وعاد مع خطة جديدة:

- اترك هذا الهاتف اللعين وركز مع ما سأقوله لك.

- ألم أخبرك يا أبي أن ما قولته لا يصلح حتى قصة لفيلم

- لدي خطة أخرى، تجعل أحد أصدقائك يهاتفه ويقنعه بأن يفتح حسابًا في البورصة، وأنه سيكسب أضعاف المبلغ في وقت قصير.

- وكيف سنفعل ذلك؟

- كل شركات البورصة العالمية تسرق أموال العملاء وقد تم ذلك معي من قبل وخسرت مبلغًا كبيرًا وأنا أعرف شخصًا يعمل بهذه الشركة سيساعدنا مقابل مبلغ من المال.

- أرح بالك يا أبي وحاول أن تنسى عمي أو تتصالح معه وتتشاركا من جديد.

- لن يهدأ لي بال إلا بعد استرجاع أموالي.

قالها ثم صمت يتفحص وجه (شريف) ثم قال:

- ما رأيك في ريهام، منذ أن كنتما أطفالاً وأنت تحبها وتدافع عنها أمام الكل، حاول أن تتقرب منها وتتزوجا وستكون هي السبيل لإعادة المال إلينا مرة أخرى بعد وفاة أبيها أو حتى في حياته فهو ليس لديه أغلى منها.

- كفاك يا أبي.

قالها متأففًا من كلام أبيه ومن اتصالات (سهيلة) التي لم تتوقف منذ أن أغلق المكالمة حينما دخل والده ثم رحل من أمامه مجددًا فعاد للرد عليها.

***

أصدر هاتف (ريهام) نغمة ليخبرها أنها استلمت رسالة جديدة على "الفيسبوك" فالتقطته بلهفة لتجد المرسل (تامر)، فارتمت بجسدها على السرير وارتسمت على شفاها ابتسامة ولمعت عيناها وهي ترد برسالة أخرى:

- قد حفر كلام أغنية "قصة حب" الآن في قلبي بعد أن كتبتها بيدك لي وحينما أسمعها مجددًا سأتخيل كل كلمة وأنت ترددها أمامي وليس رامي عياش.

- كلمات الأغنية جميلة لأنها تصف قصة حبنا.

- هل ستتركني يومًا؟

- لماذا تقولين هكذا؟

- لأني أخاف كثيرًا.

- منِّي؟

- لا من الوحدة وخاصة بعد أن تعودت أن تكون بجواري دومًا فأنا أصحو حتى أراك وأنام لكي أحلم بك.

- طمئني قلبك فأنا لم أحب هكذا من قبل ولن أحب أحدًا غيرك.

- ولكن أحيانًا أكون شخصًا لا يُحتمَل، أصبح عصبية، متسرعة وربما غبية حينما أغضب أثور كالبركان صعب أن توقفه وسيحرق كل ما يحيط به حتى نفسه. وأوقات يصعب فهمي أصمت ولا أعاتب ولا أتكلم وربما أختفي.

- حينما يفصح الرجل حبه للفتاة ويعلن لها رغبته في الزواج بها فهو يعي تمامًا عيوبها ولكنه رأى بها جمالاً لا تملكه فتاة غيرها في عينيه.

- وأنا لست أجمل فتاة.

- أنت بعيني هكذا، ومن أول يوم رأيتك فيه تملكني شعور غريب كلما حاولت الهرب منه جذبني إليك أكثر حتى ذلك اليوم حينما تلامست أيدينا في الماء توقفت عن المقاومة، أدركت من تلك الرعشة التي تملكت روحي بأنك قدرٌ لا مناص منه.

- ستبقى معي للأبد.

- سنبقى سويًّا للأبد.

وهنا سمعت ضجة خارج غرفتها، ثم أصبح الصوت أكثر وضوحًا فهو لضحكة صديقتها الصاخبة.

- حبيبي سأرحل الآن لقد جاءت ميران لزيارتي.

- لم تقولي إنها ستأتي!

- أنا أيضا لم أكن أعلم.. سمعت صوتها بالخارج الآن مع أبي، حينما تغادر سأتصل بك.

- أحبك.

تركت الهاتف على السرير وفتحت باب الغرفة وخرجت لتجد صديقتها ملتصقة بجسد أبيها بجوار باب الشقة وتهم برفع يدها لتقربها من رقبته وتقترب بوجهها أكثر وتميل برأسها على صدره وهنا توقفت (ريهام) مكانها غير قادرة على استيعاب ما تراه وهي تقول بصوت عالٍ وانفعال:

- ما هذا؟

هنا أدرك الاثنان وجودها فاعتدلا دون استحياء وابتعدت ميران عنه خطوتين للخلف وهي تتحسس بيدها شعرها لتسويته وهي تجيب صديقتها بهدوء بالغ:

- ريهام! كنت مارة أمام المنزل فخطر ببالي أن أصعد وأطمئن على أحوالك.

وهنا قامت بطردها خارج المنزل وأمرتها أن لا تعود مره أخرى، لم تصمت الأخرى بدورها وصاحت بوجهها رافضة أسلوبها الفظ الذي تتحدث به معها وهنا قاطع والدها المشاجرة قبل أن تصل لذروتها مطالبًا ابنته أن تصمت ولا تتحدث مع الضيفه هكذا فقاطعته ميران بصوت متهدج فقد تملكها وبجدارة البكاء المصطنع وهي تقول:

- اسمح لي أن أغادر وبهدوء يا أستاذ محيي.

ثم قامت بفتح الباب وانصرفت.

- أستاذ محيي!!

قالتها مستنكرة اللقب الذي تسمعه لأول مرة بعد أن كانت تدعوه (عمو محيي)

- كفاك صريخًا يا ريهام، ألم يكفِك أنها غادرت وهي تبكي؟

وهنا صاحت بوجهه وكانت أول مرة تتحدث إلى أبيها بهذه اللهجة والعصبية وهي تقول:

- أريد أن أعرف ماذا يجري بينك وبينها؟

- في البداية أريدك أن تهدئي قليلاً ثم نتحدث.

- أهدأ!! ونتحدث!!

قالتها بغضب ملجوم أفصحت عنه هزات قدمها اليمنى التي لم تعد تسيطر عليها، فأكمل:

- أنتِ لم تعودي طفلة وعاجلاً أم آجلاً ستتزوجين وتتركينني بمفردي وكما أظن أنني لم أقصر في رعايتك يومًا، وكنت خير أب وأم في آنٍ واحدٍ، والآن قد حان الوقت حتى أجد لي شريك الأيام المقبلة حتى لا يأتي صباح لا أجد من يناولني جرعة ماء.

- وأنت ترى في ميران الصحبة والونس يا أبي، ألم تسأل نفسك لماذا تقربت منك الآن، وهي تراك طيلة السنين الماضية؟؟

- لا أفهم ما تلمحين له.

- لا يا أبي أنت تفهم جيدًا، ولكن تكذب عقلك، أنت تعرفها جيدًا فهي شخصية انتهازية ولا ترى غير المال الذي معك.

- فرضًا ما تقولينه صدق، أنا أيضًا أريد مَنْ يعوضني عن السنين التي عشت فيها وحيدًا زاهدًا كل متاع الدنيا

بدا من كلامه أنه اتفق مع الفتاة على الزواج ورتب تفاصيله مع والدها وقد قرر مسبقًا وسينفذ في القريب العاجل، فقامت من جلستها وهي تتأفف وقامت بغلق باب غرفتها بقوة وظلت تبكي طيلة الليل حتى إنها لم تجِب على رسائل ومكالمات (تامر) حتى الصباح، ثم قامت هي بالاتصال به وقصت له ما حدث بالأمس وقرار أبيها بالزواج، لوهلة استنكر ما يسمع ولكن سرعان ما اقتنع؛ فالجميع يعرفون (ميران) جيدًا ويدركون مبتغاها في الحياة وهو المادة هي شخص واضح ودائمًا تتحدث عما تريده بجرأة. وقبل أن يحاول مناقشتها في الأمر فجأة طلبت منه إنهاء المكالمة؛ لأنها تريد أن تتحدث مع أبيها في أمر مهم. وبالفعل ذهبت وأيقظته وجلست بجواره على السرير وتحدث برزانة وهي تقول:

- لا مانع لدي في زواجك بها.

فاعتدل من نومته وقبل جبينها قائلاً

- كنت أثق بأنك لن تخيب ظني ولن تعارضي لي أمرًا.

- ولكن لدي طلب.

فكر دقائق قبل أن يجيب عليها فقد توقع أنها ترفض إقامة (ميران) معها في نفس البيت فقال معارضًا قبل أن يسمع طلبها:

- هذا ليس متاحًا ولن أتركك للعيش بمفردك.

وهنا تبدَّلت ملامحها للاعتراض على ما يقوله ثم ابتسمت وأكملت:

- لن أشاركك العيش هنا طويلاً هناك شاب يريد الزواج بي وبديهيًّا سأنتقل للعيش معه، ولكن هذا ليس مطلبي أنت تعلم جيدًا مخاوفي من (ميران) أولاً عليك لأنك لم تعد شاب، وثانيًا على أموالك التي هي من الأساس حقي لأني ابنتك الوحيده لذا...

وهنا نظرت إلى أبيها بتمنٍّ لا يقبل الرفض وهي تقول بصوت منخفض:

- أريدك أن تقتسم كل الأموال التي لديك بيني وبينك وبعدها لك الحق أن تتزوج ميران أو غيرها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(9)

استعد فقد حان وقت الصخب..

***

صاح (ياسر) على العسكري (حسين) وأمره بإحضار (تامر البحراوي) للاستجواب وبدأ التحقيق معه، دقائق وعاد ممسكًا بذراعه ثم تركه وانصرف بينما وقف الشاب يتصبب عرقًا بملابس متسخة، والشحوب يعتري وجهه خوفًا واختلاج عينه اليمنى يفصح عن التوتر الذي يسكنه، تمكنت من يديه رعشة غير مشهودة له من قبل حتى أنه لم تكن لديه الرغبة في معرفة إذا كان يملك القدرة في التحكم بها أو لا، مستسلم لكل ما حدث معه وحوله.

- اقترب يا تامر واجلس.

قالها الضابط (ياسر) بينما الآخر لم يحرك ساكنًا يقف مطأطا الرأس ينظر للأرض حتى كادت أن تقع نظارته ثم كررها ثانية بصوت رخيم:

- اقترب يا بني واجلس وأخبِرني، أتريد قدحًا من الشاي أو كوبًا من القهوة.

قالها (ياسر) وهو نفسه لا يعلم ما سبب تعاطُفه مع (تامر) منذ أن رآه، وبالرغم من تيقُّنه بأن له يدًا فيما حدث ولكنه كعادته في التحقيق لم يتجاهل إحساسه وأتبع الموجة صعودًا وهبوطًا وإن لم يكن من باب التعاطف سيكون محاولته منه بالتقرب إلى الشاب لمعرفة ما يحمل، تقدم خطوتين وجلس على الكرسي وقال بصوت هامس:

- شكرًا، لا أريد شيئًا.

- عادة لا أقوم بضيافة المتهمين؛ لذا فهي فرصة عظيمة حاوِل أن تغتنمها وغير ذلك أرى أننا ربما نصبح أصدقاء من الأشياء التي عرفتها عنك أنك مثقف تحب القراءة وماهر في التجارة هل تعلم ما معنى "ديهوم" ؟؟؟

نظر له (تامر) وامتلأت عيناه بالدموع ثم انهمرت بشدة، وقال له مستعطفًا بصوت خفيض:

- لا أريد شرابًا، ولكن لدي طلب آخر.

- ما هو، أخبرتك منذ قليل أنك بمثابة ضيف حتى الآن وليس مشتبهًا به.

قالها الضابط وهو يشعل أول لفافة تبغ في هذا التحقيق ومعها دخل العسكري بفنجان القهوة، فقال مبتسمًا يداعب شاربه:

- في الوقت المناسب يا "سحس"، أنا لو كنت متزوجًا لن تفهمني زوجتي مثلما تفعل أنت.

فابتسم العسكري ثم أخبره الضابط بأن يخرج ولا يدع أحدًا يدخل عليه في التحقيق إلا أن ينادي عليه، ثم خرج العسكري وأكمل (تامر) ما كان يريده:

- ريهام!!

- ما بها؟

- هل ظهرت أو توصَّل أحدٌ لها؟

وضع الضابط يده على شاربه وظلَّ يمرر إصبعيه عليه ثم نهض عن كرسيه وبعد أن اجتاز خطوات قليلة وجلس على المقعد أمامه ثم ربت على قدمه وهو يرفع حاجبًا ويخفض الآخر.

- سوف أطلب لك قهوة واعتبره عربون صداقة واعلم جيدًا أنا لا أحب دور المجذوب، لا يستهويني في التحقيقات.

حاول أن يخفي انفعاله وقالها بلهجة هادئة وبعد أن طلب القهوة، وحضرت وبدأ (تامر) في ارتشافها كل هذا مر في صمت من الاثنين أنهى خلاله (ياسر) سيجارتين ومع وضع عقب الأخيرة في المنفضة ثم رمقه بنظرة ضيق قائلاً:

- من المفترض أن أسألك هذا السؤال أين هي ريهام؟.. وقبل أن تنطق بكلمة لا يمكنك الإنكار لأن لدينا دليلاً ماديًّا يربطك بالحادث ألا وهو المقطع المصوَّر ووجود تحقيق شخصيتك، وهذا شاهدٌ على أنك كنت آخر شخص معها وبعد ذلك اختفت.

وضع (تامر) يديه على رأسه وظل ينتحب كالطفل الرضيع الذي فقد رائحة أمه توًّا، ومع ذلك أكمل الضابط ما يقوله:

- هل أنت مدمن على شرب المخدرات أو أشباهها؟

- حتى السجائر لا أدخنها.

- سوف نقوم بعمل تحليل دم وسيظهر هذا من عدمه وإن افترضنا صحة ما تقول، لماذا قمت بشق بطن الرجل مع أنه من الأسهل أن تضربه أو تبعده عن طريقك بطريقة أقل بشاعة؟!

كلما سمع ما يقوله الضابط كلما زادت الرعشة في يده ونشع العرق على جبينه بغزارة. ظل هكذا دقائق حتى استرد أنفاسه ومعها قلت دموعه ثم توقفت وخلع نظارته واستأذن الضابط في منديل ومسح به وجهه وكأنه يستعيد وعيه يستجمع قواه للرد عما يوجهه له من اتهامات.

- أنا لم أفعل هذا في الرجل ولا كنت بصحبة ريهام، اسمح لي أن أحكي لك حقيقة ما حدث بالتفصيل في ذلك اليوم وخاصة ساعات الليل الأولى منه التي تواكب نفس توقيت تصوير الفيديو.

قاطعه (ياسر) بصوته الرخيم وهو يقول:

- علماء النفس ومتخصصو التنمية البشرية ماذا يقولون عن الحقيقة بأنه "ليس هناك حقائق مؤكده أو غير، فليس هناك حقائق من الأصل إنما أدله تعطي شيئًا من أشباه الحقائق"؛ لذا أحب أن أسمع أشباه الحقائق التي لديك.

- هذه الليلة شب شجار كبير بيني وبين زوجتي ومعه علت أصواتنا حتى وصلت لأعلى البناية؛ لذا حقنًا للدماء قررت أن أترك البيت وأذهب إلى أي مكان حتى تهدأ ونستطيع أن نتواصل بطريقة في الحديث أفضل من الصراخ، وحينما غادرت جلست أمام النيل قرابة الساعتين بجوار بائع بطاطا وبعدها مررت على المقابر لتهدأ نفسي ثم عدت إلى الشارع الذي نقطن به ودخلت المسجد وتوضأت وصليت الفجر ثم اتجهت للمنزل وحينما دخلت وأغلقت الباب خلفي وجدت السكون وحده ينتظرني والجميع نيام فخشيت أن أدخل إلى غرفة ريهام وتستيقظ فتبدأ ثانية في الشجار فتزعج أطفالنا ويبدأ الجميع بالصياح فاكتفيت بأنني استلقيت على الأريكة في الخارج وقلت لذاتي "تبات نار تصبح رماد" وأغمضت عيني وغصت في النوم ولم أستيقظ إلا على صوت الصغيرتين تسألانني "أين ماما".. وبعدها بدقيقة وجدت أفراد الشرطة يقرعون الباب وكانت أول مرة أسمع بهذه الأحداث ولم أكن أعلم أن (ريهام) ليست بالمنزل، أقسم لك بأن هذه الحقيقة.

فتح الضابط فاه على مصراعيه وظل يحملق في وجهه (تامر) حتى بعد أن أنهى كلامه ثم قطع حاله الذهول وقال بصوت متقطع كأنه يتمتم مع نفسه:

- أقصى ما ظننت أن تتفوه به أنك تحت تأثير الكحول مثلاً أو المخدرات إنما الآن تقول إنك لم تكن في مكان الحادث من الأساس ومع أن هناك دليلاً ماديًّا يثبت غير ذلك، وبعيدًا عن اختفاء زوجتك التي حتى الآن لا نعلم إذا كانت مقتولة أم مخطوفة أو ماذا حدث لها!! بالإضافة إلى الرجل الموجود الآن في المستشفى بين الحياة والموت.. ولكن سأصدق على ما قُلته توًّا وكما قولنا "أدلة تعطي أشباه الحقائق" أين دليلك على ما قُلته؟

صمت (تامر) دقائق وظل يخلع نظارته ويفرك بعينيه ويرتديها وينزعها ثم فجأة علا صوته وهو يخبر الضابط أنه كان يجلس بجوار عربة خشبية يقف إليها بائع بطاطا متجول يرتدي جلبابًا وعِمة بيضاء ملفوفة فوق رأسه وقد دار بيننا حديث طويل وسألني لماذا يبدو عليَّ الضيق والهم، وقد ابتعت منه بعض من البطاطا وأعطيته مالاً أزيد مما طلب بكثير أظن أن ذلك سببٍ كاف حتى يتذكرني جيدًا.

وهنا زادت الحيرة لدى (ياسر ديهوم) وتأكدت شكوكه بأن هناك شيئًا خفيًّا في تفاصيل الحادث ومعها أكثر من حلقة مفقودة ومن أخفاها نجح بجدارة في ذلك ثم قال وهو يتحسس فراغ مقدمة رأسه:

- كل شيء يثبت صحته من عدمها. سنتقصى دليلك سنستدعيه ويتم استجوابه.

ثم عادت نظرة الاستعطاف على وجه (تامر) محدثا بهمس

- لا أكترث إن تم اتهامي ظلمًا أو حتى تم حبسي لآخر يوم بعمري، كل ما أريده أن تظهر ريهام وأطمئن عليها هذا ما أدعو به رب العالمين ليل نهار. إذا كنت أنا لا أحتمل فكرة غيابها عني فما بالك بالصغيرتين هي كل ما لديهما في الحياة.

وقبل أن ينهي كلامه تملكته الرعشة في كلتا يديه بهزة أزيد مما كانت عليه وسيطرت أيضًا على جفونه فاقترب منه الضابط وهو يسأله هل أنت مريض نفسي؟ تتعاطى أية أدوية؟ فأجابه بصعوبة مع ثقل لسانه قال متقطعًا:

- نعم، هذا كان يحدث، ولكن من زمنٍ بعيدٍ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(10)

تيقظ للوجه الذي يبتسم لك دومًا.. الضباع تصدر أصواتًا تشبه الضحك أثناء بحثها عن الفريسة..

***

الساعة الحادية عشرة مساءً، يجلس (تامر) وأخته (تُقى) على السرير وهي تقص عليه ما حدث مع زميلاتها بالتفصيل وهو ينصت باهتمام وبعد أن أنهت شكواها وبكاءها ظل يدغدغ فيها كطفلة في الخامسة من عمرها حتى لعلع صوت ضحكاتها في الغرفة وحينما دخلت والدتهما لتضع الملابس التي طوتها توًا في الخزانة أكملت ضحك على قهقهات ابنتها وهي تقول:

- أدامك الله نعمة لنا يا ابني، بعد وفاة أبيك كل ليلة أصلي وأدعو بأن تكون أنت العوض عن فقدانه.

اعتدل في جلسته وذهب إلى أمه وقبَّل رأسها هامسًا:

- وأنا لا أملك أغلى منك أنتِ وتُقى في الدنيا فأنا بدونكما لا شيء.

ثم عاد لأخته واستكمل مداعبتها وإذا بها تصيح بوجهه بعد أن تقطعت أنفاسها من الضحك.

- هيَّا غادر غرفتي، أريد أن أنام.

- تنامين!! لا سوف أحكي لك قصة "الذئب الطيب".

- لاا يا تامر لقد سئمت منها أنا حفظت حروف كلماتها فأنت ترويها لي منذ أن كنت طفلة.

سوف أحكي لك قصة "معاوية وعمرو".

- ما هذا! أريد قصة رومانسية.

- إذًا طلبك عندي سأسمعك شعر المتنبي "أنا مشتاق وعندي لوعة ولكن مثلي لا يذاا..."

- كفاااك، أريد قصة سندريلا وسنو وايت.

وقبل أن يجيب عليها رن هاتفه فانتفض مع النغمة الخاصة باتصال (ريهام)، وأخيرًا ظهرت بعد اختفاء ساعات عدة لم تجِب على مكالماته فردَّ بلهفة:

- أين كنتِ، قلقت عليكِ كثيرًا.

- لا تقلق، كنت أعيد بعض الحسابات مع أبي ليعود كل شيء في نصابه الصحيح.

- حسابات؟!

- نعم .. فقد اتفقت معه أننا سنقتسم المال الذي استرده من عمي إبراهيم وبعد ذلك يتزوج ويفعل ما يحلو له.

- لم أكن أدري أن الناحية المادية هي سبب الخلاف بينك وبينه. وتوقعت أن الأمر كله في الزواج بفتاة تصغره كثيرًا، هذا بالإضافة إلى الغيرة التي تملكتك مثل أي فتاة على أبيها.

وهنا أجابته بعصبية مفسرة:

- ميران، فتاة طماعة لا يعيرها حب ولا زواج من أبي مثلما توهمه، هذا غير أنني تيقنت أنه سيتزوجها رغم اعتراضي، لذا ليس من الذكاء أن أفقد أبي وأمواله في آنٍ واحدٍ وبذلك أصنع له معروفًا سيدركه، ولكن بعد فوات الأوان حينما تنهي على كل قرش لديه ثم تتركه.

لم يجادل (تامر) بعد ذلك في موضوع أبيها وماله؛ لأنه يراه موضوعًا شائكًا لا يصح أن يتدخل فيه حتى ولو بإبداء رأي. والاختيار الأول والأخير لها وما دامت مقتنعة بذلك الحل الذي سيرضي كل الأطراف، ولكنها لم تقف إلى هذا الحد وأسمعته ما لا يتوقع حينما أكملت قائلة:

- هذه الزيجة ستتم بعد عدة أيام، وبعدها بقلة أخرى سأبحث عن شقة صغيرة لأنتقل للعيش بها؛ لذا فأنا أتمنى أن يتم زواجنا أيضًا في القريب العاجل.

ثم صمتت دقائق وعادت لحديثها بحماس:

- هل تتذكر المشروع الذي تحدثت عنه من قبل وكنت تنتظر توافر مبلغ مالي له، سوف يتبقى جزءٌ من المال نستطيع أن نستغله في هذا الاستثمار فها هو الوقت حان والمال توفر.

فقاطعها هنا دون تفكير:

- لقد وافقتك على قرارك مع والدك لأن هذا سيشعرك بالأمان والراحة، ولكن لهنا وتوقفي. أنت تعلمين جيدًا سبب بُعدي عنك في البداية وهي ظروفي المادية ورغمًا عني بسبب تعلقي وحبي لك لم أقف أمام علاقتنا أكثر من هذا، والسبب الذي جعلني تماديت فيها أننا تواعدنا على الصبر حتى لو طال الوقت وأنتِ وافقتِ على ذلك وأقررتِ به.

علا صوت زفيرها وهي تجيبه:

- أنت تحبني أم لا يا تامر؟

- أحبك .. ولكن هذا لا يعني أن أتزوجك وأنفق عليك من مال أبيك.

- ومَن قال ذلك؟ الشقة ستكون لي وسنعيش فيها زوجًا وزوجة فهي حق لي أما المشروع التجاري سنتقاسمه أنا النصف بالمال وأنت النصف الآخر بالإدارة والتخطيط وأنا أثق بك كثيرًا.

- وماذا عن أمي وأختي لا أستطيع تركهما بمفردهما ولا أن أخبرهما بزواج أو غيره.

ما فهمته (ريهام) من كلامه استشاطها غضبًا أكثر وصاحت به وهي تسأله هل كان ينوي أن يتركها بجواره دون زواج حتى يطمئن على أخته الصغرى وهي في بيتها؟ لوهلة أدركت أنها تصيح بشكل مبالغ به وهو يكتفي بالصمت والسماع لها فعادت أدراجها واستعادت أنفاسها وقالت وهي تجز على أسنانها:

- أريدك أن تفكر في زواجنا والاستفادة للجميع، ستظهر بصفة رسمية أمام والدي وبعدها نبدأ مشروعنا وحينما ينجح وتظهر نتائجه ستعود على كلٍّ منا ولوالدتك وأختك أيضًا.

- أمي، كيف سأواجهها بذلك الخبر هي لا تعلم حتى أني أحبك ونحن مجرد زملاء في الجامعة وهذا طلبك أنت من البداية فلو كانت على علمٍ لبدا الأمر أسهل لي ولها.

- الأمر ليس بهذه الصعوبة، وقد طلبت ذلك لأني حينما أتيت البيت عندك مع الآخرين رأيت في عينها كم هي مرتبطه بك وتستاء كثيرًا كلما تحدثنا في الهاتف أو قضينا وقتًا معًا فاعتقدت من الأفضل أن يأتي الخبر دفعة واحدة. والآن بات كل شيء مختلفًا وليس هناك متسع من الوقت.

وبعد مرور وقت طويل تقنعه بما لديها طلب منها أن تتركه يفكر بالأمر وكيف سينقل الخبر لوالدته وما سيكون رد فعلها؟ فظل يحدِّث حاله ماذا سيفعل إن رفضت، كما أنه لن يجرؤ على ترك (ريهام) لفكرها والانتقال للعيش بمفردها ولا هو قادر على إقناعها بالانتظار والإقامة مع والدها و(ميران) فهي أكدت أكثر من مرة أن هذا فوق احتمالها وإن تحملته يومًا لن تنتظر للثاني وطبقًا لشخصيتها هذا يعني بأنها سترحل من البيت رغم أنف الجميع وبما أنه يفكر بطريقة أقرب للمثالية فيما يخص تاء التأنيث الموجودة بحياته فاعتبر نفسه مسؤولاً عنها منذ أن أخبرها بمشاعره ووعدها بالزواج ولن يتحمل أن يتخلى عنها في مثل هذا الظرف، بعد أن أخبرها بكل الصخب الذي يجول بخاطره اختفى حتى عن عمله وكان يقضي طيلة الوقت في غرفته متأملاً سقفها الأبيض وكانت والدته تقطع صمته متسائلة عن تغيُّر حاله وسبب كسله غير المعهود وأيضًا عن هاتفه الذي لا يكف عن الرنين ومع آخر محاولة مستميتة منها طلب أن تجلس بجواره على السرير واستجمع قواه وأخذ نفسًا عميقًا وحكا لها كل ما بداخله وما يتمنى أن يحدث دون معارضة منها، ولكن حدث ما توقع تمامًا هاجت وماجت عليه كالممسوسة وظلت تبكي بحرقه ونواح وهي تؤنبه أنه أخفى عنها علاقته مع (ريهام) بالرغم من أنها سألته أكثر من مرة، وما زاد الطين بلة أنها شعرت بالخديعة من قِبَل الفتاة ومن ابنها الذي ساعدها هذا غير أنها شعرت بغيرة شديدة ليست منها فقط بل من كل الإناث.. كيف لواحدة منهن أن تأتي وتأخذ رضيعها الذي شكَّلته بيدها إلى أن أصبح كيانًا متكاملاً تأتي إحداهن وتأخذه بهذه البساطة "لو امتلك الرجل مالاً بنفس كمية الكره الموجودة بقلب كل فتاة لأم حبيبها أو العكس لأصبح أغنى رجل بالعالم"

مرت عدة أيام أخرى والوضع كما هو عليه، (تامر) بغرفته لا يأكل ولا يشرب إلا القليل ولا يبارح البيت، أمه لا تتحدث معه، اختفت (ريهام) تمامًا عن الساحة فتوقفت عن الاتصال المستمر به بعد إرسال رسالة نصية محتواها "القرار بات لك وحدك إما نبقى سويًّا أو تنسي أنك رأيتني في يوم من الأيام" الرسالة لم تحرك ساكنًا إلا بعد يومين حاول أن يستعيد توازنه، وحينما أراد الاتصال بها ليطمئن عليها وجد هاتفها مغلقًا مما زاد قلقه عليها ولم يجد أمامه إلا (ميران) التي أصبحت زوجة أبيها وتعيش معها في نفس البيت، فهاتفها وأخبرته أنها مريضة جدًّا وترفض الذهاب إلى الطبيب وحالتها تزيد سوءًا من يوم لآخر، لم يشعر بحاله إلا بعد ارتداء ملابسه وهرع إلى أسفل منزلها وهاتف (ميران) وطلب منهاً أن تخبرها أنه بالجوار ويريد رؤيتها ليتحدث معها، ولكن الأخرى ظلت تلح عليه حتى يصعد إلى الشقة وأكدت له بأن زوجها لن يعود الآن ولكنه أبى بصرامة وقاطع طلبها وأصر على ما يريد. وبعد دقائق هلت عليه حبيبته من الشرفة وقد بدا عليها الشحوب بوضوح،

وانطفأت ابتسامتها الطيبة وأصبحت واهنة. هاتفته وبمجرد سماع صوته انهمرت دموعها رغمًا عنها وهمست:

- بحبَك.

- بحبِك.

- لم أعد أحتمل أكثر من هذا، كل ليلة تمر و ميران وأبي داخل غرفة واحدة وعلى سرير واحد وصوت ضحكاتهما تقتل كل ذكرى جميلة تجمعني به.

- هل بحثتِ عن الشقة المناسبة أم نفعل ذلك سويًّا؟

وهنا انفرجت أساريرها ومعها دموع الفرح وأجابت بصوت متهدج:

- أحد السماسرة دلني على شقة قريبة من هنا في نفس حي مدينة نصر مساحتها متوسطة وجاهزة لوضع الأثاث من اليوم.

- إن لم تكفّي عن البكاء سأرحل في الحال ولن نذهب لنرى الشقة.

فابتسم فاها مع لمعة عينيها وهي تجيبه:

- وحشتني، وحشتني، وحشتني.

ثم دخلت من الشرفة وتبدل المرض بالنشاط وبدلت ملابسها وأسدلت شعرها على كتفيها ووضعت زينتها البسيطة ونزلت والتقت بحبيبها وتشابكت الأيدي بعد الاشتياق ولم تترك أصابعه إلا بعد أن فتح حارس العقار باب الشقة لهما واستأذن دقيقتين وتركهما ليتفقدا الشقة المعروضة للبيع، ولكن كان التفقد من نوع آخر أكثر دفئًا فقد ارتمت (ريهام) بين ذراعي (تامر) وضمها بشوقٍ إلى حضنه وظل يتحسس أنحناء خصرها وهي ترمقه بصمت وقد تشكلت قطرات من العرق أسفل حد شعرها، فأمسكت برأسه وجذبته لها أكثر فأصبح الجسدان متلاحمين وشد قبضته على ذراعها وهو يدس أنفه أسفل رقبتها ومرر شفتاه عليها حتى وصل لشعرها وأخذ يستنشق عطرها ثم نظر لعينيها التي طلبت منه الاقتراب أكثر فانهال عليها وأغرق وجهها بالقبلات حتى ارتطمت الشفاه وانقضَّ عليها وظل يلثمها ويشرب من رحيقها حتى سمعا خطوات حارس العقار، فتباعدت الخطوات واستطاعت أن تستعيد توازنها وهي تمسح العرق الذي يتصبب على جبينها بينما وقف هو مرتعش الجسد متلاحق الأنفاس يبتلع ريقه بصعوبة يجاهد لتهدئة نفسه حتى حسم أمره ونطق:

- أعجبتكِ الشقة؟

- أحببتها جدًّا، وأصبحت من الآن جزءًا من روحي.

قالتها وهي تنظر له وتبتسم حتى شعر بالخجل مع وجودٍ الرجل، ثم نظرت للحارس وأخبرته أن يتفق مع المالك ويأتيا صباحًا لإنهاء عقد البيع ثم انصرفا وكلٌ منهما عاد إلى منزله وهي تغمرها السعادة من رأسها حتى أخمص قدميها، بينما عاد (تامر) خالي الوفاض حتى من الكلام فقد تاهت منه مفرداته التي يحتاجها لإقناع والدته الغاضبة؛ فذهب إليها وهي جالسة تشاهد الحلقة المائة وثلاثة وثلاثين من

المسلسل التركي، وجلس أمامها وهو يتصبب عرقًا وظل يخلع نظارته ويعيد ارتداءها حتى أنقضت دقائق غير معلومة حتى كسرت السيدة الصمت معترضة.

- أرفض هذا الزواج غير المناسب فهذه الفتاة لا أمان لها فمن تستطيع أن تقنع رجلاً بإخفاء أمرٍ مهمٍّ على والدته وقبل أن تصبح زوجته فماذا ستفعل به وبها بعد الزواج.

وهنا قاطعها بلطف:

- ريهام تملك قلبًا طيبًا ونية خير فهي حرصت في المقام الأول على مشاعرك حينما رأت الرابطة الشديدة بيننا أزيد قليلاً من المعتاد بين أم وابنها.

ثم تنهَّد ونظر في الأرض وهو يقول:

- الآن تيقنت أنها كانت على صواب في عدم الإفصاح من البداية.

وهنا انفجرت غضبا في وجهه وظلت تردد

- لقد ضاع العمر هباءً على ابن عاق.

ولكن في أقل من ثانية انطفأت حمم البركان وتحولت إلى خوف وحنان حينما رأت كلمات ابنها تثقل وتعثر لسانه عن النطق وعلق بحرف التاء، احتقنت عيناه بالدموع واحمرت وجنتاه فكلما وُضِعَ تحت ضغط شديد تحدث جسده بدلاً عنه، وهنا تراجعت والدته عن موقفها واعتراضها وأعلنت موافقتها بكلمات صريحة ثم اقتربت منه وضمته إلى صدرها وهي تذرف الدموع لأنها هي من وضعته في هذه الحال التي تكره رؤيتها فمنذ تعرضه للحادث وهو صغير وانقطاعه عن الكلام تمامًا فترة طويلة، ومع الارتياد المنتظم لعيادة الصحة النفسية وتناوُل عقاقير مساعدة استطاع أن يتغلب على علته ويخرج من الصدمه التي تعرض لها واقتصرت الأعراض المصاحبة لحالته التي وصفها الأطباء بأنها لا تُعتبَر مرضًا بالمعنى الحرفي ولكن ذلك بسبب أنه ذو شخصية حساسة جدًّا وكتوم لا يجيد التعبير عن مشاعره ونتيجه لما رآه في الحادث خلق لديه أعراضًا تلازمه مع كل أزمة شديدة يتعرض لها فيتملك منه الخوف ويهرب إلى ثقل اللسان ثم مع التحكم في استرداد أنفاسه بانتظام يعود طبيعيًّا شيئًا فشيئًا.

بعد مرور أسبوعين من انتهاء التعاقد على الشقة بعدها تم شراء الأثاث وتجهيز عش الزوجية كل هذا تم بعد موافقة والدها، ولكن على مضض لأنه يعلم جيدًا أن سبب الإسراع لمراسم زواج ابنته هو الهروب من الوضع العائلي الجديد، ولكن ليس أمامه غير أنه يشتري خاطر وراحة بال ابنته الوحيدة و (ميران) أيضًا التي أصبحت تشكو وتتذمر من المعاملة السيئة لها، ها هما يجلسان ووسطهما المأذون يعقد القران وتجلس السيدة (تيسير) بجوار ابنها تحاول أن تسانده على ما أقدم عليه وتراه خطرًا محتمًا على الجميع وقد عجزت عن إخفاء الكره الواجم على وجهها لعروس ابنها التي اقتنصته من عرينها رغم أنفها وها هو المأذون يعلن أنهما زوج وزوجة، فيحمل (تامر) عروسه (ريهام) بين ذراعيه ويطير إلى قفص الزوجية، وبعد أحكم غلقه تعالت أصوات الضحكات ثم هدأت مع العناق واختفت مع القبلات وتقطعت الأنفاس حتى الساعات الأولى من الصباح.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(11)

دع عقلك يأخذ استراحة من التفكير وأطلِق العنان لإحساسك.. تصل للحقيقة..

***

لم يستكمل الضابط (ياسر) التحقيق مع (تامر)؛ فقد تدهورت حالته وأصبحت أكثر وضوحًا مما جعله يلجأ إلى طبيب نفسي ليفسر له الأعراض التي بدت لا إرادية من رعشة في كلتا يديه، ثقل لسانه وكلامه المتقطع بات غير مفهوم مع سرعة في حركة أهدابه، أفاده الطبيب أن كلها ردود فعل لصدمة، ولكن هذا ليس بجديد، ربما وُضِع تحت ضغط عصبي ومن بعدها كلما تعرض لشيء مشابه تعود له نفس الأعراض مثل شخص مدخِّن كلما تعرض للتوتر أشعل سيجارة وهناك من يأكل في شفتيه أو أصابعه، ولكنه حصر نفسه وجسده في هذه الأعراض ومع ذلك هو يعي جيدًا ما يدور حوله مما سيجعل الأمر أبسط بكثير مع المهدئات.

تم استدعاء السيدة (تيسير) للاستجواب عمَّا يدور مع ابنها، فور استلامها للطلب قامت بتلبيته في غضون دقائق وتركت الفتاتين (لارا) و(سارا) مع (تُقى) في المنزل فهي من تعتني بهما منذ تم القبض على ابنها مع غياب السيد (محيي) الذي تعرض لوعكة صحية أدخلته المستشفى وصار في حالة حرجة بعد اختفاء (ريهام) بعدة أيام، بعد أن دخلت السيدة (تيسير) مكتب الضابط وألقت التحية وجلست أول ما لفظت به:

- أرجو أن تسمح لي بالاطمئنان على ابني.

- هو بخير، لا تقلقي.

- هل لي أن أراه حتى ولو لدقيقة ليهدأ قلبي.

- الزيارة ممنوعة كما تعلمين في الوقت الحالي، ودعينا ندخل في صلب الموضوع، كل دقيقة تنقضي تثبت عليه تهمة اختفاء زوجته.. أريد أن أسمع تصوُّرك عمَّا فعله في المحطة؟

- بعيد كل البُعد عن تامر وتربيته وأخلاقه ولا يمتّ بصلة عن حبه وتعلُّقه بزوجته.

قالتها مع نظرة استنكار وهي ترمي ببصرها بعيدًا.

- ربما يكون انتقامًا شخصي أو تصفية حسابات أو...

ثم سكت برهة وقام من جلسته وتقدمت خطاه بهدوء حتى جلس مقابلة للسيدة (تيسير)، فهو من عادته يحب أن يجلس مواجهة المتكلم وهو ينظر في عينه، وأكمل:

- خيانة مثلاً؟ الطريقة التي كان يجذبها بها في محطة مترو الأنفاق لا تنم عن أي ودٍّ.

- لا أعلم ما سبب الذي حدث في هذه الليلة الملعونة، ولكن ما أؤكده لك أنه لم يحب أحدًا مثلما أحبها وهي الأخرى، لم أرَ فتاة تقدِّم لشاب ما قدمته ريهام من مساعده مالية وحب وإخلاص له ولبيته

ولابنتيها، أقول هذا بالرغم من أنها الشيء الوحيد الذي جعل ابني يقف أمامي ويعصي كلامي ويفضلها عني.

- أتكرهينها؟

لم تجب السيدة، ولكن نظرتها أفصحت عما تحمله إلى (ريهام)، هنا بدأ مصباح ينير في عقل الضابط ويؤكد له أهمية التحقيق مع السيدة (تيسير) وأشعل سيجارته ووضع قدمًا على الأخرى واتكأ بحمولته على مؤخرة الكرسي قائلاً برزانة:

- أرى أنك سيدة ذكية وصلبه بالرغم من الحزن الذي يعتري عينيك، أملاً أن تقومي بمساعدة ابنك، أريد أن أعرف بالتفصيل مع أسباب اضطرابه النفسي؟

علت نبرتها وردت بسرعة:

- ابني ليس مضطربًا نفسيًّا، ليس بمريض ويدعي الجنون، كل ما في الأمر أنه منذ أن تعرض للحادث وهو صغير وكلما وضع تحت ضغط أو صدمة بدت عليه أعراض عدم اتزان، ولكني أؤكد لك أنه يكون واعيًا تمامًا لما يدور حوله وإن لم تصدِّق كلامي لدي الشهادات الطبية التي تقر بذلك.

- أي حادث؟

اعتدلت السيدة في جلستها بعد أن كانت قد اقتربت بوجهها نحو الضابط ورتبت غطاء رأسها وبدأت الحكي:

- في ليلة شتوية ندرت معها الأقدام في الطرقات وأنا في عودتي من عند أحد أقاربي ومعي (تامر) و(تُقى) رضيعة، كنت أنتظر والدهما عند محطة الحافلة بمنطقة نائية، وإذا بثلاثة رجال مخمورين يقتربون ويتهجمون ممزقين ملابسي محاولين الاعتداء عليَّ وأنا أقاوم وأصرخ والطفلة تبكي بحُرقة إثر الاصطدام حينما أفلتها من يدي وحينها أخذها أخوها ابن السادسة بين يديه، ووقف يبكي ويستنجد بالخلاء بعد أن حاول الدفاع عني، ولكنه تلقى لكمتين أدمتا وجهه فاكتفى بحماية أخته والصراخ حتى أتى أبوه.. وهنا بدأوا في الابتعاد عني بعد أن نهشوا جسدي وروحي ثم أبرحوه ضربًا وانصرفوا، كان الحادث أليمًا للكل، زوجي لم يلبث على قيد الحياة بعدها، لا أعلم هل أنا السبب أم أن ميعاد رحيله عنَّا كان قد حان ولكن ما أعرفه جيدًا أن ابني لم يعد كما كان.

أنهت السيدة (تيسير) ما تقول ولكن (ياسر) ما زال مشدوهًا معها يحملق في وجهها حتى أحرقت السيجارة طرف إصبعه فرمشت عيناه وتخلص منها وعاد بوجهه بالقرب من السيدة وسألها بصوت خفيض:

- أين كنت يوم الحادث؟ وماذا كنتِ تفعلين؟

ابتلعت السيدة (تيسير) ريقها بصعوبة ونشعت قطرات من العرق على جبينها وظلت ترمقه بنظرات صامتة حتى نطقت:

- ما الذي يجري؟ أتتركون كل الصراعات التي تدور بين ريهام وعمها وابنه شريف ووالدها وتلقون بالتهم الزائفة علينا أنا وأبني البريء!

- عادة لا أحد يلقي أصابع الاتهام على آخرين إلا حينما يشعر بخطر ما.

- أو حينما يشعر بالظلم.

- الأولى في هذه الحالة أن يدافع عن نفسه ويثبت براءته ويفصح بالمكان الذي كان فيه أثناء الحادث، ولأن دائمًا هناك حلقة وصل بين المتهم والضحية لزاما عليك أن ما ستقوليه يكون عليه شاهد أو إثبات مادي.

- لا أمانع أن تلقي الاتهام لي ما دام ابني سيخرج من الحبس.

- كفاكِ مهاترات ولا تتمادي فيما لا فائدة منه، تامر له يد بشكل أو بآخر؛ فهناك فيديو وهو يطعن الرجل في بطنه والآن بين الحياة والموت ولكن ما أبحث عنه هو هذه الفتاة التي لم يستدل عن مكانها حتى الآن، ربما تكون جثة هامدة في مكان ما أو مقيدة من قِبَل مضطرب نفسيًّا.

وقفت السيدة (تيسير) وقد غلبتها دموع عينيها وقالت بصوت متهدج:

- ابني ليس مريضًا ولا متهمًا، هناك التباس وستظهر هذه الملعونة في وقت ما لتنفي كل هذا.

قام (ياسر) من جلسته وعاد إلى مكتبه وقد أصبح صوته أكثر جدية موجهًا لها سؤالًا:

- الجميع يتحدث عن الرؤى التي يراها بأحلامه ما قصة ذلك؟

أجابت عليه باستفاضة أنه من ليلة الاعتداء عليها وبعد موت أبيه وهو يرى أحداثًا تحصل بالفعل وليست مجرد خيالات والمقربون منهم يعرفون ذلك وبالدلائل على مدار سنين، وفي النهاية وعظته إن رأى شيئًا وأخبره به من الأفضل أن لا يغفل عنه ويأخذه بمحمل الجد، ما قالته الآن أثار فضوله بالرغم من أنه يؤمن بالجانب الروحاني ويتبع حدسه إلا أن ذلك أشعل حيرته ومع ذلك عاد للموضوع الأساسي قائلًا:

- أين كنتِ ليلة الحادث وما هو الإثبات عن ما ستقولينه؟

مسحت بكلتا يديها على وجهها وتسارعت أنفاسها ومعها ازدادت حركة صدرها صعودًا وهبوطًا وقالت:

- كنت أشتري مستلزمات للبيت؛ طعامًا وخلافه وكنت بمفردي و (تُقى) ابنتي بالبيت وليس لدي شهود عما أقول غير البائعين ولا أظن بأن عليهم أن يتذكروا كل الوجوه التي تمر عليهم.

- تبتاعين مستلزمات للبيت بعد منتصف الليل في ليلة شتوية باردة والسماء تمطر!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(12)

حينما تتأكد أنك النبي المنتظر، وهُم قريش، وهناك أصنام حول الكعبة فاعلم بأنك سترتكب جريمة بشعة في القريب العاجل.

***

- أبي، تعالَ احكِ لي حدوتة "الذئب الطيب" قبل أن أنام.

- حاضر يا حلوتي انتظري ثواني.

- كفاكِ سماع هذه الحكاية يا لارا، أختك سارا لم تعد تريد سماعها قد ملَّت منها وأنا أيضًا.

قالتها (ريهام) وهي تقف في المطبخ تُعِدُّ العشاء.

- لا دخل لك بشأننا أيتها المتطفلة، هيَّا انهي العشاء سريعًا حتى لا نأتي ونأكلك بدلاً منه.

قالها (تامر) وهو يحمل ابنته ويدور بها في الغرفة ويلعلع صوت ضحكاتها في الأرجاء ثم تأتي الأخرى (سارا) وتقف تنظر لهما نظرة المدين للدائن فهرع لها وحملها باليد الأخرى وأكمل دورانه بهما ويداعبهما، ثم تركت (ريهام) ما تفعل وانضمت لهم حتى سقط الأربعة أرضًا، احتمت بذراعيه وفوقها (سارا) و(لارا)، وكادت الحوائط تبتسم معهم من جمال ضحكاتهم العريضة التي كشفت عن الأسنان التي زادت من إضاءة الغرفة.

بعد زواج (ريهام) لم تستقر علاقتها بوالدها فأصبحت تقتصر على زيارته لها من حين لآخر في أوقات متباعدة واستمرت على موقفها ضد (ميران) الصديقة قديمًا وحاليًا زوجة أبيها غير المرغوب فيها وكان التنافر يزداد بينهما في العلاقة كلما سمعت من أصدقائهما تبديدها لأموال أبيها في سفر وشراء ملابس ومستلزمات مبالغ فيها وإجراء عمليات تجميل وتغيير أثاث المنزل كل عدة أشهر، بالرغم من ذلك لم تتدخل حتى لو بكلمة هذا ما وعدت به والدها منذ أن قررت الاستقلال بحياتها بعيدًا عنه واكتفت أنه بصحة جيدة، عانت في بداية زواجها في عدم التوفيق بحمل طفل منه وتوالت الزيارات للطبيب وتناول المنشطات حتى أثمر حملها عن التوأم (لارا) الأولى والصغرى بدقيقتين (سارا) واكتملت فرحتها بعد معاناة من فقدان أمها وفي الأخير ما شهدته من أبيها واعتبرته خيانة لها ولأمها، لم يُفِت (تامر) فرصة إلا وعوضها عمَّا فات ودائمًا يخبرها بأنه وجد فيها العوض عما شهده منذ طفولته ولم يكن يتخيل يومًا بأن هذه العلاقة التي كان يتجنبها أو يخاف من الاقتراب والمضي فيها أن تتحول لأجمل ما شهده يومًا.

من أول يوم بعد زواجهما لم يغمض له جفن وكان يخطط كيف سيدير الأموال التي تضعها زوجته أمانة لديه لكي يستثمرها، يعرف أنها تدعمه وتأمل فيه خيرًا وهو يراها نعمة لن تهديه الحياة مثلها مرة أخرى فوجب عليه حسن التصرف، شرع في تنفيذ مشروع طالما حلم به وتكلم عنه معها، فشرع بافتتاح محل ملابس رياضية مستوردة من الصين تقليد للماركات العالمية بجودة جيدة وسعر مقبول، كان يبذل في مشروعه مجهود عشرة رجال لا يكل ولا يمل ولا يشعر بتعبٍ وكان هذا السبب الدائم

للشجار بين الزوجين ودائمًا تقول له (ريهام) إنه لو استطاع أن يعمل في الدقائق المعدودة التي ينام فيها لفعل ذلك.

كبر المشروع التجاري واستطاع بالربح الذي يجنيه أن يفتح صالة للألعاب الرياضية والتمارين فوق محل الملابس ورغم صغر السن إلا أنه كان جديرًا بمسؤلية ما وضع بين راحتي يده وعرف كيف يديره وساعدته بذلك زوجته، كانت تعرف قيمة تعب زوجها والمال الذي يجنيه بتعبٍ وسهرٍ ولم تنفقه إلا في المهم مما أتاح تدبير مال لشراء شقة جديدة مساحتها أكبر في نفس المنطقة السكنيةً غير التي تملكها زوجته.

ذات صباح ذهب السيد (إبراهيم) إلى محلِ الملابس الذي تملكه ابنة أخيه وزوجها، رحَّب به (تامر) رغم علمه بنواياه غير الطيبة تجاهه، ظلَّ يتجول يمينًا ويسارًا يتفحص كل أرجاء المحل ثم صعد للدور العلوي حيث الصالة الرياضية وبعد انتهاء جولته قد بدأ التوهج على وجهه ولمعت عيناه وحينما لمح (تامر) ذلك عليه، وبالرغم من أنه يغلي غيظًا منه، ولكن لم يستطع أن يتفوه بكلمة مراعاة لصلة الرحم التي تجمعه بزوجته، عرض عليه أن يحتسيا القهوة سويًّا ولكن السيد (إبراهيم) أبى مقاطعًا عرض الضيافة فما يريده أكثر من فنجان قهوة؛ فقال له وهو يرفع حاجبًا ويسقط الآخر.

- أنت تعلم جيدًا أنني أنا السبب في كل هذا الخير فلولا الأموال التي أخذها أخي محيي الدين عنوة مني لم تكن يومًا تشهد ما أنت فيه.

- عذرًا لا علاقة لي بما تقول هذه أمور عائلية لا شأن لي بها.

- ما دمت أخذت من خير هذه العائلة فقد أصبحت جزءًا منها.

ثم سكت برهة حاول فيها أن يستعيد توازنه بعدما رأى النجاح الذي أنجزه الشاب بينما ابنه الوحيد (شريف) غارق في شرب المخدرات التي أنفق عليها المتبقي من مال أبيه ووِرث أمه غير أنه يتكفل بمصاريف زوجة ابنه (سهيلة) وابنهما، ثم أكمل وهو يحك أنفه:

- ما أريد قوله لك أنني شريك معك في هذا المكان شئت أم أبيت، وأتمنى أن تفكر كيف نفعل ذلك وتجعل الطريق سهلاً بيننا فليس هناك أسهل من افتعال المشكلات وأذية الغير.

- أتهددني يا سيد إبراهيم؟

- تريد تسميته بتهديد كما تريد أيضًا، اعتباره حسن نية مني ومحاولة للتقرب منك ومن بنت أخي أيضًا كما تشاء وسيكون هذا أفضل لكلينا.

- كل شخص يرى من زاويته أستاذي الفاضل، والآن عذرًا فلدي الكثير لأقوم به وأريد منك توصيل تحياتي إلى شريف وتبلغه أن عرضي له ما زال قائمًا إذا أراد المشاركة معنا ضمن فريق العمل وهذا أقصى ما يمكن تقديمه لك.

قالها (تامر) ثم انصرف من أمام السيد (إبراهيم) الذي ملأ الغيظ قلبه وعقله وأصبح حقده كالنار التي تأكل في روحه ثم غادر هو الآخر.

حينما عاد إلى المنزل تردّد في إخبار (ريهام) مع حدث مع عمها ولكنه في النهاية أفصح عما يحمل وهما يتناولان العشاء فقال وهو يمضغ الأكل:

- عمك قام بزيارتي اليوم.

كادت أن تقطع الدجاج لكنها توقفت وقالت في استنكار:

- لا أفهم ما يدور في عقل عمي حتى الآن ،لم يحاول الأتصال بي ولو مرة واحدة، وفي نفس الوقت يقوم بزيارتك في المحل، ليتني أفهم ما الفائدة التي تعود عليه من ذلك؟

- اهدئي، الموقف لا يتطلب كل هذه الثورة، مجرد زيارة لا زادت من شيء ولا نقصت.

خشي أن يخبرها بتفاصيل ما حدث حتى لا يزداد الأمر سوءًا خاصة أن الطفلتين تجلسان تشاهدان ما يحدث وقرر أن يخبرها حينما تكون في مزاج أفضل.

ولكن نفسيتها والحالة العامة في البيت لم تعتدل بعد محاولات عديدة من السيدة (تيسير) لافتعال مشكلة مع زوجة ابنها؛ فمنذ أن ابتاع (تامر) الشقة الجديدة واشتعلت نار الغيرة في قلب الأم التي من وجهة نظرها أنها تستحق أكثر من المبلغ الذي يرسله لها شهريًّا وشراء كل مستلزمات البيت وكل نفقاتها ودراسة أخته من أولى التزاماته وبالرغم من كل هذا لم تكتفِ الأم فهي ترى أنها تحملت الكثير من أجل أولادها منذ وفاة الأب وتستحق الأفضل خاصة بعد تحسن الحالة المادية لابنها، ذات صباح هاتفته وكان نبرة صوتها المتهدج تنم عن بكاء.

- ما بك يا أمي، هل أصاب تُقى مكروه؟

- تُقى، بخير.

- إذا ماذا بك؟

- أفتقدك كثيرًا وأشعر بالوحدة.

- أتمنى أن تتجاوزي يومًا فكرة أن زواجي من ريهام سبب لكل أزمة نفسية تمرين بها، عاجلاً أم آجلاً كنت سأتزوج وسأرحل عنك وأكررها لك للمرة المليون أنا لم أتزوج رغمًا عنكِ بل لأني متيقن بأنكِ الوحيدة في الدنيا التي تتمنى الخير لي، وها أنت تشهدين نفسك رغم كل المحاولات التي تفتعلينها معها لم تأتِ بسوء عليكِ يومًا يا أمي، هذا غير أن الله جعلها سببًا لكل الخير الذي أنا فيه اليوم.

- وأنا لست صاحبة فضل عليك بأي شيء، مجرد أني أفنيت سنين عمري في خدمتك أنت وأختك!!

- يا معين.

قالها (تامر) وهو يتأفف من موقف أمه الذي يَئِس من تغييره منذ أن عرفت حقيقة علاقته مع (ريهام) وحاول جاهدًا أن يستعيد جأشه قائلاً:

- لن ولم يأتِ أبدًا شخصًا يأخذ مكانتك عندي ولا غلاوتك في قلبي يا أمي.

- أتت وسكنت قلبك ولم تعد ترى غيرها في الدنيا، أتدري منذ متى وأنا لم أرَك؟

- يا مغيث!!!، منذ يومين يا أمي.. البارحة قمت بالاتصال أكثر من خمس مرات.

وهنا انفجرت الأم بكاءً وأنهت المكالمة.

حينما سمع صوت بكائها شعر بالألم يجري داخل جسده حتى وصل إلى قلبه ثم اعتصره وجعًا، تملكته الحيرة فقد قام بكل ما في وسعه ولكن النار اشتعلت بقلبها ولن تهدأ حتى تختفي (ريهام) من الوجود، ذهب إلى عمله حاملاً بين طيات عقله الحيرة وداخل ضلوعه الوجع وفي روحه الحزن الذي بدا على وجهه ورآه كل من يعمل فمنذ أن دخل وجلس على مكتبه المتواضع في آخر ركن بالمحل وبدأ الهمس بين الجميع وهنا اقتربت منه (مروة) التي مالت بجرأة عليه وهي تهمس:

- يارب من كان السبب في هذا الحزن.. يموت.

(مروة) فتاة عشرينية شكلها مثل لهجتها تحمل الطابع الشعبي، جريئة في نظراتها وزينتها أيضًا، بدأت العمل منذ أيام معدودة أتي بها حارس العقار الذي يقع به محل الملابس والصالة الرياضية وقدمها إلى (تامر) وحكى له مستعطفًا حالتها بأنها يتيمة الأب والأم وتعيش مع أختها وزوجها وبحاجة للعمل لتنفق على نفسها وبالرغم من أنه لم يتعاطف مع هيئتها مثلما رأف لحالها الذي سمعه من الحارس قام بضمها لفريق عمله بالمحل تعمل كبائعة فيه .

- حذار أن تقتربي هكذا مرة أخرى وأنت تتحدثين معي أو مع أي شخصٍ آخر هنا.

قالها (تامر) بلهجة محتقنة خفيضة محذرًا إياها بصرامة.

- سأذهب وأحضر لك القهوة المضبوطة بنفسي.

قالتها ثم انصرفت وهي تترنح بوسطها يمينًا ويسارًا بشكل ملفت على طقطقة العلكة التي تمضغها بحماسة زائدة، دقائق عادت وبيدها فنجان القهوة بينما كان (تامر) ممسكًا بالقلم ويقوم بتدوين بعض الأرقام على ورقة، فوضعت الفنجان بجوار يده وقبل أن تتركه قامت بلمسه متعمدة على أطراف يده وهي تنظر له، وهنا صاح في وجهها أمام الجميع:

- ما دمت في فترة العمل، فلا تقومي بالمضغ هكذا مرة أخرى.

اكتفت بمط شفتيها ورفع حاجبها ثم انصرفت في صمتٍ، معها رن هاتفه وكان المتصل (ريهام) فلم يلبث أن يجيب بكلمة وقد وجدها تصيح بنشيج عالٍ:

- قد طفح الكيل، ولن أتحمل الأذية من أي إنسان مهما كان مرة أخرى حتى لو كنت أنت هذا الشخص ولتعتبر هذا تحذيرًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(13)

علم الجريمة لديه فرضية بأن الإنسان أصله الشيطان تجسَّد في شكل بشر حتى يلائم طبيعة الأرض ويتمكن من نهب خيرها في خبثٍ.

***

كثرت الشكوك لدى الضابط (ياسر ديهوم) وخاصة بعد التحقيق مع السيدة (تيسير) الذي انتهى بخلق حلقة جديدة مبهمة في عقل الضابط بدايتها عند السيدة ونهايتها سهم يشير إلى مكان المفقودة (ريهام محيي الدين) التي لم يستدل على مكانها بعد، ذهب إلى مكتب زميله (عادل يعقوب) يحتسي معه فنجان قهوة وليعرض عليه ظنونه حيال تلك القضية وبعد أن قص عليه مفاد التحقيق مع السيدة (تيسير)، رد عليه على الفور:

- لا أعلم لماذا تقحم شهودًا لا علاقة لهم بالحادث لمجرد أن إجابتهم لم تكن شافية لك!! أنت تملك الأدلة على ارتكاب هذه الوقعة ضد الشيخ المصاب، بالإضافة إلى المتورط الوحيد. فلم يتبقَّ أمامك إلا معرفة مكان زوجته أو إثبات وقوع جريمة أخرى لم نعلم تفاصيلها بعد.

- هذا ما أحاول بالضبط إثباته بأن السيدة المفقودة يحوم حول اختفائها العديد من الخيوط المفقودة ليس فقط تامر.

- ليس هذا ما قصدت.. ما أعنيه أن الحادث أسهل من ذلك، أنت لديك مفتاح كل ما حدث، سوف ينتهي كل هذا بمجرد أن تضع الشاب تحت تهديد وسيقر بكل ما فعل وتأخذ باقي الإجراءات مجراها بعيدًا عنَّا والأهم من كل هذا حتى لا تسمع ما لا يطيب لك من المقدِّم (مصطفى).

لم يكمل (عادل) جملته ودخل المقدم (مصطفي)، فقاما وألقى التحية قبل أن يتحدث أحد منهم بادر الرئيس موجها الكلام بحدة:

- لماذا كل هذا التباطؤ يا ياسر الحادث يبدو مكتمل العناصر أريد أن تنتهي منه في أقرب وقت الروؤساء يطالبون بالإنجاز، الناس ما زالت تتداول الفيديو على مواقع التواصل الاجتماعي مع تعليقات سخيفة يتهموننا فيها بإهدار حق السيدة المفقودة، ولا داعي أن أذكِّرك بأن الشعب المصري شعب عاطفي من الدرجة الأولى لا أريد أن يزيد اللغط علينا أكثر من هذا.

- سيادتك اسمح لي بتوضيح أمرٍ مهمٍّ، هذا الحادث ليس بهذه البساطة التي تتكلمون عنها، هناك أطراف عدة متشابكة.

- ما دليلك؟

- عندما أجريت تحقيق مع والدة الجاني شعرت أنها تخفي شيئًا له علاقة بالزوجة المفقودة.

- لا أريد أن أعرف بما شعرت أيها الضابط، أريد أدلة وفي أسرع وقت، ويجب أن تفصل بين ما تريد إثباته وما هو مطروح أمامك، أظن أنك تعي جيدًا عمَّا أتحدث.

وهنا نظر الاثنان لبعضهما، وبالرغم من عدم فهم (عادل) للكلمات الأخيرة من رئيسه فبدت كأنها شيء يخص زميله ومع ذلك لم يهتم وابتسم باستفزاز:

- أوامر سيادتك، سأبلغك بآخر التفاصيل مع تقريرٍ مفصَّل لها.

وهنا انصرف السيد (مصطفى) دون إلقاء السلام، واستغل (عادل) الفرصة وقال مستكملاً استفزازه:

- هذا ما كنت أحدثك عنه.

زفر الضابط (ياسر) في ضيق وانصرف إلى مكتبه متسارع الخطى؛ فقد حان موعد التحقيق مع الخيط الثاني وهو السيد (إبراهيم) عم المفقودة (ريهام) فقد أصرَّ أن يسمع منه بعد أن رمت السيدة (تيسير) بعض السهام على العداء القائم بين المفقودة وبينه، كما أن التحريات أثبتت هذا بخلاف القضية التي كانت بينه وبين أخيه.

يجلس (ياسر) على مكتبه مشعلاً سيجارة محاولاً أن يستعيد هدوءه بعد الذي سمعه من رئيسه ويجلس أمامه السيد (إبراهيم) يرمقه بنظرات جانبية.. بدأ التحقيق.

- حدثني عن ابنة أخيك محيي الدين.

- منذ ولادتها وهي كابنة لي، تربت في بيتي بعد وفاة أمها وكنت أتعامل معها مثل ابني شريف وأخواته حتى تخرجت من الجامعة.

- ماذا حدث بعد الجامعة؟

- لم يحدث شيء، مجرد خلافات عائلية أبعدت الطرفين.

- خلافات عائلية تصل إلى قضايا ومحاكم؟!

- نعم هذا ما حدث، أخي كان الصغير المدلل وأنا منذ صغري وأنا أعمل مع والدي فكيف تتساوى الأرباح بعد كل المعاناة والتعب وسهر الليالي!

- إذا فأنت قيمت وأخذت.

- وفي النهاية المال ذهب إليه.

- ولكن الخلاف ما زال قائمًا.

- نعم ولن أصفو له حتى مماتي.

- إذا تعترف بالعداء بينكما وما زال قائمًا، أي أنه ربما...

قاطعه السيد (إبراهيم) محتجًا:

- أنا أقول هناك خلافات، ولكن هذا لا يعني أن أكون سببًا في اختفاء ابنة أخي.

- من وجهة نظرك مَن يكون متورطًا في اختفائها.

- ليس هناك غيره هو وأمه.

- تقصد تامر والسيدة تيسير؟

- وهل هناك غيرهم المستفيد من محوها من على وجه الأرض!

- لماذا تقول هذا؟

- المال يا سيدي وهل هناك غيره، بعد اختفاء ريهام ستنقل أموالها لبناتها وزوجها.

- ولكن كما تعلم الزوج متورط، ما رأيك في الفيديو المنتشر له؟

- أرى إدانته بالاعتداء على الشيخ ليس أكثر، ولكن ما الدليل بأنه خلف اختفائها؟

- هو آخر شخص كان معها.

- من السهل إثبات العكس يا سيدي وأنت تعلم هذا مع أي شاهد زور، ولكن الأكيد أنه سيستفيد بأموالها عاجلا أم آجلاً.

- لماذا لم تحاول جاهدًا لكي يتزوج شريف بها والأموال ستعود لك في الأخير؟

- القلب وما يريد.

- أفهم من هذا أنه يحمل نفس الضغينة التي تحملها إلى ريهام وتامر..

- ابني ليس طرفًا في هذا.

صمت الضابط ونظر إلى عين السيد (إبراهيم) الذي حافظ على هدوئه بشكل مبالغ فيه ثم أخبره أن الكل متورط حتى تظهر الحقيقة، واقترب منه وهو يداعب شاربه سائلاً:

- أين كنت ليلة الحادث؟

- كنت بالبيت أشاهد مباراة قديمة بين فريقي الأهلي والإسماعيلي.

- من كان يشاركك الليلة.

- لا أحد.

- لا أحد؟ أين زوجتك وأولادك

- أولادي في بيوتهم وزوجتي تبيت عند أختها في قرية بعيدة منذ يومين قبل هذه الليلة المشؤومة.

- هل هناك أحدٌ يشهد على أن لم تغادر المنزل تلك الليلة، مثل جار أو حارس عقار؟؟

- ليس لدينا حارس للعقار ولم ألتقِ أحدًا من الجيران ليلتها.

انتهى التحقيق ولم يتوصل منه (ياسر) إلى معلومة شافية غير أنه فتح طريقًا آخر في المتاهة ليصعب الوصول للهدف المنشود.

استقرت حالة (تامر) نسبيًّا بعد المهدئات ولكن نحيبه لم يهدأ، ينادي باسم زوجته وابنتيه في يقظته ومنامه يطالب برؤية الأطفال وكل حينٍ يسأل العسكري هل توصلوا لمكان زوجته، حرص الضابط أن يتعامل معاملة آدمية لأهميته الكبيرة وخوفه من دخوله نوبة أخرى أكثر سوءًا لأنه حينها سيفقد حلقة رئيسية ومهمة جدًّا في الحادث وستنتهي بأن مريض نفسي تهجم على شيخ وهو السبب في اختفاء زوجته، يعلم الضابط بأنه أولى الحلقات وآخرها وهذا ما يجعله يمضي قدمًا للبحث عن شيء مجهول يشعر به، ولكن لا أدلة مادية لديه حتى الآن، ما يخشاه ألّا يصل قريبًا لهذا الدليل ويرغم على إفلاتها من يديه.

أنهى (ياسر) يومه ثم استقل سيارته ومرَّ على أحد المطاعم وتناول غداءه ثم ذهب إلى منزله نزع ملابسه وأخذ حمامًا دافئًا واستلقى على الأريكة وأدار التلفاز وغاص في نوم عميق.

بعد سويعات معدودة رنَّ هاتفه وهو مستلقٍ فمه مفتوح على مصراعيه صوت شخيره أعلى من رنة هاتفه، ولكن المتصل لم يهدأ حاول مرة أخرى حتى انتفض من نومه وأمسك بهاتفه فوجد اسم زميله يظهر على الشاشة قبل أن يجيب نظر إلى الساعة فوجدها الخامسة صباحًا فضغط زر الرد فورًا:

- خير يا عادل.

- استيقظ يا صديقي، حتى أخبرك بآخر المستجدات في الحادث.

- حادث مَن؟ تامر و ريهام؟

- نعم.. رجال الشرطة والمباحث الجنائية أكدوا أن الجثة التي عثروا عليها في طريق الإسكندرية الزراعي تعود لسيدة تتطابق مواصفاتها مع المفقودة ريهام محيي الدين.

@

(14)

إذا أردت أن تعرف خبايا من حولك، فاذهب إلى حفل يجمعهم وركز مع العيون سترى الحاقد والخبيث والخائن وربما تجد القاتل بينهم.

***

تصاعَد الشجار بين الزوجين بسبب والدته وخرجت الزوجة عن صمتها وانتهت قدرتها على التحمل فأصبح كل احتكاك بينهما ينتهي بمشكلة، آخر ما بدرَ من الأم حينما أتت لترى (سارا) و(لارا) وكان ابنها في العمل و(ريهام) من قامت باستقبالها بحفاوة لتجد منها غلظة فدلفت إلى الشقة دون أن تمد يد السلام لزوجة ابنها التي وقفت على الباب تمد يدها للصفح، فلم تكترث وحاولت أن تهدئ من روعها وتردد بأنها سيدة كبيرة بمثابة والدتها ودخلت لإحضار عصير للضيافة ووضعته أمام السيدة (تيسير) التي انشغلت بالطفلتين وحينما رأت العصير قالت وهي تزم على شفتيها:

- يقول لي (تامر) إنك دومًا تفشلين في صنع العصائر.

ثم سكتت برهة وهي ترمق زوجة ابنها بنظرة شاملة فاحصة وقالت:

- ما بك؟ شكلك يبدو وكأنك أصبحت في عامك الخمسين، وجهك شاحب، جسمك أصبح غير متناسق شعرك غير مرتب، كان الله في عونك يا بني ترى هذا المنظر كل صباح.

وهنا زفرت (ريهام) بصوت عالٍ وقالت في حنق وقد اتسع بؤبؤ عينيها.

- سأذهب لأعد الغداء لزوجي حبيبي ووالد ابنتي حينما تنهي زيارتك أرجو أن تغلقي الباب خلفك جيدًا حتى لا يحمل لنا رياحًا غير مرغوب فيها مرة أخرى.

لم تلبث السيدة (تيسير) دقائق ورحلت، وحينما سمعت (ريهام) صوت إغلاق الباب قامت بالاتصال بزوجها، شكت له ما فعلته والدته محذرة بأنها لم تعد تحتمل أسلوبها الفظ ولن تسمح بأن يحدث هذا مرة أخرى من أي شخص وإن لم يتدخل هذه المرة ويرد لها ماء وجهها تعتبرها إهانة ولن تقبل منه التقصير هذه المرة.

بعد محاولات من (تامر) مع أمه، أن يصلح بينهما وتقوم بالاتصال بزوجته وترضيها، ولكنها أبت بشدة ووصفته بأنه ابنٌ عاق وأن تربيتها وعمرها ضاع عليه هدرًا، فلم يتبقَّ لديه إلا أن يرضي زوجته بنفسه الذي يعلم أنها تحملت الكثير من والدته، فقام بشراء مجموعة من البلالين وقام بالطباعة عليهم ثم نفخهم بالهيليوم وربطهم بشريط في نهايته علبة ثم اتجه للمنزل وقرع الجرس ففتحت له واختبأ خلف البلالين وحينما رأته ابتسمت فدخل الشقه وقام بفك كل بالون على حدة أول واحدة كانت تحمل صورة لهما مع (سارا) و(لارا) وواحدة مكتوب عليها "بحبك" وأخرى "ربنا يخليكي ليا" أما الأخيره فقام بتركيب وجهها على جسد وفستان إحدى أميرات ديزني فأصبحت كأنها أميرة وهو أميرها ومسك بطرف هذا البالون وجثا على ركبتيه وفتح العلبة فوجدت سلسلة فأمسكت بها وظلت تتفحص الدلاية التي عبارة عن شكل بيضاوي يحيط به فصوص لامعة على الإطار فقامت بفتحها وجدت نصفها من الداخل يحمل آية قرآنية والنصف المقابل به صورة زفافهما لمعت عيناها وجثت هي الأخرى على ركبتيها وارتمت بأحضانه وهمست وهي تكاد أن تبكي من فرط الفرحة فهمس بأذنها:

- لا معنى ولا طعم للحياة إلا بوجودك فأنت أمي وابنتي وأختي.

فأسكتته وانهالت على شفتيه بالقبلات وهنا أتت الفتاتان حينما سمعتا صوت أبيهما وحينما رأيتا البلالين ظلتا تقفزان في مرحٍ محاولتين أن تلتقطا طرف الأشرطة المربوطة بهم، فاستغل الزوجان انشغالهما ودلفا إلى غرفة نومهما وأطلقا العنان للحب الذي تحوَّل إلى هزات من النشوه تؤلف بين جسديهما.

خرج (تامر) بعد أن تحمَّم وظل يداعبهما محركًا رأسه لينثر من شعره قطرات من الماء على وجهيهما وهما تضحكان وهنا قالت له (سارا) بعفوية:

- لمَ لا تقص شعرك يا أبي؟

- أفضله هكذا، ألا يعجبك شكله؟

- يعجبني كثيرًا فهو مثل شعر "إتش دبور".

فضحك وقبل أن يجيبها أطلق هاتفه جرس استقبال رسالة على تطبيق المحادثات "واتساب" فالتقطه ورأى ما أتاه فذهب إلى (ريهام) وهي تحضر كيكة شوكولاته التي يحبها ردًّا منها على مفاجأته لها فقال بفضولٍ:

- أتعلمين من أرسل لي رسالة الآن؟

وهنا استلمت هي الأخرى نفس الرسالة التي جعلتها تضحك بسخرية وهي تقول:

- إنها الغندورة (ميران) ستقيم حفل لعيد ميلادها وتدعونا للحضور، وهل تبقى مع والدي الوقور من المال يقيم لها حفلاً؟

- هذا ليس من شأننا كلٌّ أدرى بحاله ونحن لن نذهب مثل كل عام.

وهنا سكتت دقيقة ثم قالت بخبث وهي تنظر له بطرف عينها.

- لا سوف نذهب هذه المرة، أريد أن أثبت لأبي أن اختياره الخطأ لم يضر أحدًا غيره، وأرى إلى أي مدي وصل الحال بها بعد أن أنهت على المال ولم يتبقَّ لها إلا شيخ كبير كأبيها.

وبالفعل حينما أتى المساء حرصت (ريهام) على أن تذهب إلى الحفل بكامل أناقتها هي والفتيات ورافقها (تامر) وحينما دخلت البناية تذكرت الأيام التي كانت تجمعها بوالديها وهي صغيرة ولعنت اليوم الذي رأت فيه (ميران) وأمنت لها بالدخول إلى البيت وكانت السبب في إفساد علاقتها بأبيها وإذا بهم يدلفون الشقة فتجد كل الفريق القديم فهي لم ترَهم منذ فترة بعيدة وأول من وقعت عيناها عليه هو أبوها يجلس في ركن بعيد عن الصخب ممسكًا بكوب الشاي يرتشف منه ويجلس معه أخوه (إبراهيم) الذي حضر من باب الفضول ليس أكثر، تخرج (ميران) من المطبخ تحمل كوبًا من العصير وضحكتها تلعلع في الأرجاء وهي "تتقصع" كعادتها ويرن صوت كعب حذائها، ها هي (سهيلة) قد زاد وزنها كثيرًا ويجلس على قدمها طفل يبكي وهي تعنفه بوجه مكفهر كعادتها ويبدو من هيئة ملابسها أنها ليست في أفضل حال، بينما يدخل شريف من الشرفة بعد إنهاء مكالمة هاتفية، هيئته عكس زوجته (سهيلة)، فقد الكثير من الوزن وكسا السواد أسفل عينيه وشحب وجهه واسودت أسنانه من كثرة شرب المخدرات وتعاطي كُل ما يذهب العقل، أخبرها (تامر) بهذا من قبل ولكن لم تتخيل بأن يصل به الحال هكذا ومع هذا فهو يهتم بهندامه أكثر من زوجته التي حينما اقترب منها صاحت في وجهه:

- أنت تضحك وتقهقه هنا وهناك وأنا أجلس بمفردي، أمسك ابنك لم أعد أطيق صوت صراخه.

وقامت بقذفه بالطفل الذي زاد من الصراخ في وجه أبيه وهنا رأى (ريهام) وزوجها فاتجه إليهما حاملاً ابنه الذي هدأ نوعًا ما بعد أن ضمه إلى حضنه، وألقى سلامًا حارًا عليها.

- تبدين جميلة وأنيقة كعادتك.

- إحم إحم.

قالها (تامر) معترضا بلطف، فضحك (شريف) وقام بمصافحته وتقبيله وهو يقول مبتسما

- اعذرني لا أستطيع أن أراها غير الطفلة التي كانت تلعب معي وتتشاجر على كل كبيرة وصغيرة.

ربت (تامر) على كتفه وضحك الثلاثة ثم اتجهت (ريهام) إلى أبيها وقبَّلته وحاولت أن تمنع دمع عينيها لافتقادها لهذا الإحساس منذ فترة بعيدة وأتت بطفلتيها وقبلتا جدهما وجلس وهما على فخذيه يدلل ويقبِّل كلتيهما، لم تبدِ قبولاً وهي تصافح عمها مجرد لمست أطراف أصابعه ولكنه قابل ذلك بترحيب مبالغ فيه فقالت له:

- كيف حالك يا عمي؟

فردَّ الآخر بنبرته الواثقة:

- ليس أفضل من حالك.

ابتسمت مع تحفُّظ ثم انصرف واتجهت إلى (سهيلة) وصافحتها بحرارة والأخرى أيضًا ارتمت بحضنها فهي لم ترَها منذ زمن بعيد ولم تلبث دقيقة وبدأت بحكي الفترة الصعبة التي تمر بها مع (شريف) وتعاطيه المخدرات وعدم إنفاقه عليها هي وابنها وقد اضطرت إلى العمل حتى لا تمد يدها لأبيه الذي كلما طلبت منه مرة يعطيها وعشرة يتهرب منها.

- أحزنتيني بما قلتِ ولكنك أحسنتِ فعل حينما بحثتِ عن عمل، وأسأل الله أن يهدي شريف إلى صوابه وأبوه وأمه سبب في كل ما هو عليه الآن، دللاه بغير حساب وكانت الأموال بيده كالأرز لا حصرَ لها بعد أن انتهى من علاقاته بالفتيات اتجه للمخدرات، أسأل الله أن يصلح الأحوال قريبًا، ولكنه مع ذلك يحبك يا سهيلة، وفضَّلك عن الجميع، اعتبريها غيامة وستمر ولا تيأسي منه فهو يحمل قلبًا طيبًا.

قاطعتهما (ميران) بضحكتها المتقطعة وهي تقول:

- في بيتنا الأستاذة ريهام محيي الدين، أكاد لا أصدق عينيَّ.

ومالت عليها وقبَّلتها ولكنها لم تحرك ساكنًا. ردت السلام بجمود وانصرفت (ريهام) وجلست بجوار (شريف) على الأريكة وقامت بمداعبة ابنه وظلت تتحدث معه ناصحة له بأن يحاول إصلاح حاله من أجل نفسه وابنه ولكنه لم يسمع كلمة مما قالت وبعد أن أنهت حديثها قال (شريف):

- أريد أن أشكو إليك أمرًا بدرَ من زوجك معي.

- ماذا حدث؟

- ذهبت له في المحل وسألته أن يقرضني مبلغًا من المال وسوف أعيده ولكنه أبى بشدة بالرغم من أني كنت بحاجة للمال فكان ابني مريضًا ولم أكن أملك المال للعلاج.

- أنا حقًّا لا أعلم شيئًا عما تقول.

وهنا أتت (ميران) وحاولت أن تجد مدخلاً لمشاركتهما الحديث ولكن (ريهام) لم تعطها الفرصة، وأشاحت بوجهها بعيدًا عنها وعقدت حاجباها وحينما شعر (شريف) بالتوتر الذي حدث بينهما قام من

جلسته وترك معهما ابنه فاقتربت (ميران) من الطفل تداعبه مع ضحكات عالية استفزت مسمع (ريهام) التي لم تعد تحتمل الجلوس في هذه الأجواء أكثر من هذا فذهبت لأبيها فوجدت زوجها يقف بجواره كل منهما يداعب الطفلتين بينما عمها (إبراهيم) يرمقهما بابتسامة باردة، فقبَّلت أباها واعتذرت عن الرحيل مبكرًا وألقت السلام ملوحة لعمها فأجابها سريعًا ولكن موجهًا الحديث إلى (تامر):

- لا تنسَ أن تنظر في العرض الذي أخبرتك به في المحل منذ بضعة أيام.

لم يجِبه واكتفى بإلقاء نظرة بطرف عينه ورحل الاثنان وحينما استقلا السيارة عاتبته أنه لم يحِكي لها الموقف الذي حدث مع (شريف) فردَّ قائلاً في حنقٍ:

- شريف، يكذب.. بالفعل أتى وطلب مبلغًا من المال أقرضته إياه مرة واثنتين وثلاث، ولم يُعِد منهم شيئًا. وفي المرة الأخيرة رفضت وعرضت عليه أن يأتي ويعمل معي حتى يجد مرتبًا شهريًّا له ولأسرته ولكنه رفض بأسلوب متعجرف بأن قيمته أكبر من أن يعمل معي.

- آسفة يا حبيبي. كان من المفترض أن أسألك الأول قبل أن ألقي عليك الاتهام، وهو فعلاً شخص تصرفاته غير موزونة بسبب ما يتعاطاه.. ولكن ما العرض الذي عرضه عليك عمي وكان يسألك الرد عليه؟

- لم أُرِد وقتها أن أخبرك ولكنه اليوم تحدَّث بالموضوع مرة أخرى.

- أثرت فضولي!

- يريد أن نتقاسم المحل والصالة الرياضية مفسرًا أن هذا حقه من الأساس لأنه صاحب الفضل في المال الذي أخذتِه من والدك وأنا قمت بالتجارة به.

- أظن أن شريف ليس وحده من يتعاطي المخدرات، أبوه أيضًا فقدَ عقله، لا أعلم بدونك كيف كنت سأقف أمام هذه الأطماع والأحقاد.

- أنا أمنك وحمايتك مثلما كنتِ السند لي وستكونين دائمًا.

وهنا أرادت أن تهدئ الأجواء بينهما فأدرات مقطع موسيقي هادئ استمعا إليه حتى وصلا المنزل، وبعد أن غاص الجميع في النوم وعم الهدوء الشقة استيقظت (ريهام) في الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل على صوت رسالة على هاتف زوجها وكان هذا غريبًا، من المرسل في هذا الوقت؟ فالتقطت الهاتف وفتحت الرسالة لتجد المرسل باسم (مروة) ومكتوب بها كلمة "وحشتني" وبجوارها قلب وشفاه باللون الأحمر اتسع بؤبؤ عينيها وقامت بالصراخ في وجه (تامر) وهو نائم:

- ما هذا؟؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(15)

الشيطان حزينٌ ووحيد، وكذلك القاتل بعد أن بدا له كل شيء مثاليًّا..

***

تتوقف حافلة مليئة بالركاب في طريق الإسكندرية الزراعي لينزل أحدهم ومعه طفلان أمسك أحدهما حتى أفرغ مثانته ثم أفلته، وعاد أدراجه ليأتي الثاني ليتبول مثل أخيه وحينما عاد بنظره لم يجد الطفل الأول، فظل ينادي عليه حتى أجابه الولد من داخل المنطقة الزراعية العتماء يستنجد به ليأتي ويأخذه فعاد الرجل إلى الحافلة وأتى بهاتفه ليضيء وخلفه باقي الركاب لمساعدته فكلا منهم أنار مصباحه متجهين إلى المكان الذي يأتي منه صوت الطفل وهنأ تبدلت الكلمات من الصياح باسم الطفل إلى يا مغيث، يا الله، ما هذا؟ ومنهم من تحجَّر مكانه والبعض الآخر عاد لا إراديًّا خطوتين للخلف، حينما رأوا الطفل يقع أرضًا وقد تلطخت ملابسه بالطين وبجواره جسد يعود لامرأة، يبدو النوع من شعرها الكثيف الجزء السفلي منها متفحم والعلوي لا يبدو عليه سوى الطين.

بعد أن تلقى (ياسر) الاتصال من زميله (عادل) ارتدى ملابسه واتجه فورًا لمسرح الجريمة حيث وجد رجال الشرطة مبعثرين ويحيطون دائرة الجثة وبداخلها رجال المباحث الجنائية يجمعون الأدلة الممكنة وتصوير مكان الحادث ورسم هندسي له فدخل بنفسه وظل يحوم هنا وهناك وقام بتدوين كل ما عاينه دون مبالغة أو تقليل ثم قام بأمر أحد المعاونين.

- أريدك أن ترسل للطب الشرعي لعمل تشريح فورًا للجثة لمعرفة سبب الوفاة.

وقبل أن ينصرف الشرطي نبَّه عليه بصرامة فقال بملامح مقتضبة:

- يمنع أي شخص من الدخول أو الخروج من مسرح الجريمة منعًا تامًا حتى يتم إعادة تمثيل الجريمة فهمت؟

- سأبلغ كل الطاقم بالتشدد على الحراسة.

يشعر الضابط منذ البداية بأن هناك شيئًا غامضًا بالحادث، ولكن ليس لهذا الحد المأساوي والآن بعد أن وصل لنقطة سوداء قرر عدم التسرع في إبداء أي رأيٍ تجاه أي شخص وها هو في طريقه لوضع خطة لتحقيق تتفق وظروف الجريمة البشعة التي أمامه.

حينما وصل إلى مكتبه وجد المقدم (مصطفى) بانتظاره فذهب إليه ووجد (عادل) يجلس معه وبدت على أسنانه ضحكه صفراء فهموا منها ما كان يخشاه منذ البداية، وبعد أن دخل وألقى التحية وجلس ثم احتدم النقاش من أول جملة بدرت من الرئيس.

- أنت حللت كل القضايا التي تم إسنادها إليك وبجدارة غير مسبوقة في مجال التحقيقات مما أثار غيرة الكل تجاهك ومع كل مرة كنت أخالفك الرأي فيها ونصطدم بسبب عاطفتك في مثل هذه القضايا التي تكون الضحية فيها امرأة فتميل لأحداث وأشخاص دون دليل مادي وهذا لا يتفق مع طبيعة عملنا يا (ياسر) وأنت تعلم هذا جيدًا.

- وفي النهاية أصل للحقيقة.

- في النهاية!!! هذا الحادث لا يحتمل المماطلة أنت تعرف أن الجميع يتهموننا بالتقصير حيال المختطفة ريهام، والآن أصبحت قتيلة وكل شيء سيأخذ مجرى أصعب وأخطر وإلى الآن يتم نشر الفيديو في محطة مترو الأنفاق فما بالك الآن بعد نشر خبر الجثة المتفحمة.

وهنا تدخل (عادل) محاولاً أن يهدئ الأجواء.

- لا تقلق يا افندم الآن بات لدينا أدلة ملموسة ستسهل علينا إنهاء القضية.

ردَّ عليه (ياسر) بعصبيه مبالغ فيها:

- وما أدراك أن مسرح الجريمة به أدلة كافية و...

قاطعه المقدم (مصطفى) بصرامة بالغة:

- لن أسمح لك يا ياسر أن تقوم بفرضيات غيبية لا أدلة لها وتطرحها كأنها حقائق مؤكدة.

فأجاب باحتدام:

- أنا دائمًا أبني فرضيتي بناءً على تصوُّر مسرح جريمة خيالي فأنا لا أملك أدلة حية حتى الآن.

فتدخل (عادل) مرة أخرى:

- أدلة حية!! لديك جثة وتريد دليل أكثر من هذا.

وقبل أن يجيبه الضابط قاطعه الرئيس محاولاً أن يهدئ النقاش بينهم فقد وصل لذروته وهو في نفس الوقت لا يريد أن يفقد (ياسر) حماسه للقضية لأن دائمًا الورقة الرابحة تقع بيده في أغلب الحوادث.

- ما نقصده ببساطة يا ياسر أنك تملي فرضيتك بأحداث ملائمة ولكنها مغلَّفة باحتمالات لتبدو كاملة وهذا يتطلب وقتًا لإثباته فعليًّا وفي هذه القضية عامل الوقت مهم بالنسبة لي ولك ولنا.

- أؤكد لك بأن هناك قاتلاً حرًّا طليقًا.

- وأنا أؤكد لك بأن مكانك ليس هنا أيها الضابط اذهب وتأهل حتى تصير طبيبًا نفسيًّا شرعيًّا، ولكن قبل أن تفعل ذلك أريدك أن تنهي لي هذه القضية لأن القيادات تطالبني بتقارير مفصلة يوميًّا.

وهنا تدخل (عادل) مرة أخرى:

- سنفعل يا افندم، لا تقلق سننهي التحريات والتحقيقات في أقرب وقت.

هنا تأكد (ياسر) مما شعر به منذ وصوله بأن زميله بات الآن شريكه في التحريات ولكنه لن يعترض. يكفي ما حدث الآن مع رئيسه ويريد أن يركز على ما سيفعله وليس في صالحه أن يخسر دعم رئيسه، وحينما خرج سأله (عادل):

- ماذا سنفعل ومن أين سنبدأ؟

- أنت ستنتظر في مكتبك وتقرأ التحقيقات الأولية التي تمت مع تيسير و إبراهيم ثم تأخذ تامر للتعرف على الجثة في المشرحة وأنت بنفسك تباشر حدوث ذلك.

ثم أدار ظهره للانصراف وقبل أن يخطو الخطوة الثانية عاد أدراجه ومال على (عادل) وقال:

- حذار أن يمسه سوء.

قالها واستدار فسأله الآخر:

- إلى أين أنت ذاهب؟

- إلى المستشفى عند والد المجني عليها ريهام محيي الدين.

لم يعترض الضابط على معاملة زميله له وكأنهما القائد ومساعده فهذه فرصة جيدة له حتى يتعلم منهجًا جديدًا من مدرسة (ياسر ديهوم) الذي يشهد الكل بفطنته وتميُّزه في عمله.

ذهب (ياسر) إلى المستشفى وصعد إلى الطابق الذي يوجد به غرفة المريض وإذا به يمر على الغرف ليتتبع الرقم المطلوب وحينما وقعت عينه على رقم الغرفة وجد شابًا وفتاة يقفان متقاربين بجوار الباب وهو يميل عليها يهمس في أذنها وهي تضحك بصوت عالٍ لا يتناسب مع المكان الذي تتواجد فيه هذا غير ملابسها وزينتها المبالغ فيها، فاقترب منهم وألقى السلام ثم سأل باستنكار:

- هل هذه غرفة السيد محيي الدين؟

- نعم هي.

- ومن أنتما؟

فأجاب الشاب:

- هذا ليس من شأنك، مَن أنت حتى تسأل عن السيد محيي الدين.

- الضابط ياسر ديهوم.

- ديهوم!!!!

رددتها الفتاة وضحكت، ولكنها صمتت حينما رأت صرامة وجهه وهو ينظر لهما بجدية وقالت:

- آسفة، ولكن الاسم غريبٌ نوعًا ما، أنا ميران، زوجة السيد محيي الدين.

- زوجته؟

- نعم.

- وهذا؟

قالها وهو ينظر للشاب:

- هذا شريف، أبن اخيه.

ابتسم الضابط ابتسامة كشفت عن أسنانه وضاقت معها عيناه قائلاً:

- لقد تم التحقيق مع والدك عن المفقودة أقصد المجني عليها أو المقتولة.

صرخت ثم وضعت يدها على فمها بينما (شريف) اتكأ على الحائط الذي خلفه واضعًا يده على رأسه ثم قال للضابط:

- أرجوك لا تخبر والدها بهذا فحالته حرجة، يستعيد وعيه ثم يفقده في دقائق لا يتذكر شيئًا إلا اسمها.

- لا مشكلة، سوف أعود مرة أخرى.

ثم نظر إليها وقال:

- لنا لقاء آخر قريبًا.

ثم انصرف.. وعاد إلى مكتبه وقال للعسكري أربعة أسماء لمخبرين أكفاء يعملون معه في القضايا المهمة وطلب منه إحضارهم سريعًا ثم أتى بورقة وقلم وكتب عدة أسماء بها وفي أول الورقة "تحت مراقبة مشددة" وتتمثل الأسماء الموجودة في السيدة (تيسير) والده المتهم، السيد (إبراهيم) عم المجني عليها، ابنه (شريف)، و (ميران) زوجة السيد (محيي الدين).

وحينما حضروا أكَّد عليهم أنه يريد تقارير هاتفية كل ثلاث ساعات عن كل تحركاتهم.

***

أمر (عادل) بإحضار (تامر البحراوي) إلى سيارة الشرطة وبينما هم في الطريق كلما سألهم إلى أين يأخذونه أجابوه إلى المشرحة، عقله لا يستوعب، ولكن القلب أدرك فظل يلح بالسؤال؟ ولكن ما من إجابة شافية حتى وصلوا وهم أمام ثلاجة الموتى وقبل أن يكشف الغطاء عن الجثة اقترب منه الضابط وحاول أن يتعامل معه بحيادية، فوضع يده على كتفه وربت عليه وهو يقول:

- أعلم أن الموقف صعب والمنظر بشع، ولكن لا بُدَّ أن تتعرف وتؤكد أن صاحبة الجثة زوجتك أم لا؟

لم ينهِ كلمته وقد اغرورقت عيون (تامر) بالدموع ولفظ بصعوبة.

- ماذا تقول؟ ريهام؟ جثة!!

فذهب لا إراديًّا إلى الجثة وكشف الغطاء فوجدها، شاحبه طالت النيران أجزاء قليلة من وجهها، فنشع البول على سرواله من هول ما رأى وظلَّ يردد اسمها حتى جثا على ركبتيه وأخذ يلكم الأرض بقبضه يديه حتى كادت عظامه أن تتهشم، فأمسك الضابط بيده حتى أوقفه على قدميه وسأله:

- هل تريد أن تلقي نظرة أخرى حتى تتأكد هي أم لا؟

- رحلت وهي غاضبة مني.. كنت أتنفس حتى أحيا من أجل إسعادها هي.. هي فقط!!

- دعنا نرحل.

قالها الضابط وأدار ظهره وترجَّل ثم أمسك رجال الشرطة بيد (تامر) وهم يدفعونه للمضي قدمًا وهو مستسلم، ظهر أمامه طيفها ولكنها كانت حزينة، لوحت له بيدها ليستمر بالتقدم في اتجاهها إلى أن وصلوا إلى السلم انعطفت هي يمينًا ظل يصيح برجال الشرطة محاولاً الإفلات منهم ليتبعها ولكنهم قاوموا وانهالوا عليه ضربًا وهو يردد دون انقطاع:

- ريهام تريد أن تريني شيئًا.

ظلَّ يرددها حتى عاد إلى زنزانته مرة أخرى.

***

في صباح اليوم التالي أتى (شريف) للتحقيق وتخلفه (ميران) فمنذ أن رآهما (ياسر) في المستشفى وشعر بشيء مريب يحدث بينهما ربما يكون له علاقة بحادث القتل وخاصة أنه عرف عن صداقتها بها قبل أن تتزوج أباها ونشوب خلاف بينهما وهي كانت السبب في قطيعة المجني عليها وأبيها لوقت طويل ولكنه بدأ التحقيق مع (شريف) الأول حتى تكتمل الصورة التي بدأها مع والده (إبراهيم) فاقترب منه سائلاً:

- ما رأيك في تامر؟

- صديقي وشاب مجتهد ومستقيم منذ أن عرفته وهو محل ثقة.

- علاقته مع ريهام كيف كانت؟

- كان يحبها أكثر من نفسه وهي أيضًا فضلته على الكل على أبيها وعلى نفسها حتى إنها سلمته المال الذي أخذته من والدها.

- السيد إبراهيم قال بأن هذه الأموال من حقه و تامر شخص استغلالي انتهز الفرصة جيدًا.

- المحكمة قالت كلمتها وأنها حق لعمي.

- وما رأيك أنت؟

- من حق عمي، ولكن أبي أيضًا له الفضل في جني هذا المال.

وبدأت الأصابع تداعب الشارب وعلى الجانب الآخر، بدأ العرق ينشع شيئًا فشيئًا، بعد صمت دقائق عاد وسأل:

- ما هو مجال عملك؟ التحريات لم تذكر شيئًا حياله؟

- حاليًا لا أعمل، حاولت أن أفتح أكثر من مشروع ولكن لم يُكتَب لأي منهم النجاح.

- ألم تشعر في يوم بالغيرة من نجاح تامر.

بدأت قدم (شريف) بالاهتزاز وطلب من الضابط أن يسمح له بالتدخين ثم أجاب:

- نعم.. دائمًا كنت أشعر بالغيرة منه وتزداد كلما نجح مشروعه يومًا بعد يوم.

- هل شعرت يومًا أنك تريد أن تنتقم منه؟

- لا لم أشعر أبدًا بهذا فلم يسرق هذا النجاح مني هو من فعله بمفرده، نعم شعرت بالغيرة، ولكن غيرة فقط وخاصة أن ظروف أبي المادية كانت في تدهور.

- التحريات تقول إنك أنت، بسبب تعاطيك المخدرات.

بدأ (شريف) قضم أظافر يده اليسرى تارة وينفث دخان السيجارة التي بيده اليمنى تارة ولم يجب حتى ذهب الضابط كعادته وجلس على الكرسي المقابل وسأله:

- كيف كانت علاقتك بالمجني عليها؟

- كانت بمثابة أختي الصغيرة منذ وفاة والدتها وهي تقضي أغلب الأيام معنا في البيت.

- مَن برأيك له مصلحة في قتلها وتشويه جثتها هكذا؟

- لا أعلم... ريهام كانت كالملاك لا تعرف غير الطيبة يرق قلبها لحال كل الناس.

- أين كنت ليلة الحادث؟

مع السؤال زادت حركة قدمه اهتزازًا وظلت عينه تزوغ يمينًا ويسارًا حتى قال:

- كنت بالبيت.

- كأبيك؟

- لا أعلم أين كان أبي، ولكن أنا غفوت وغصت في النوم وكانت زوجتي بانتظاري عند والدتها لأذهب وأحضرها من هناك بعد خصام دام لثلاث ليالٍ، ولكن النوم غلبني حتى الصباح.

- مَن الشاهد على ما تقول؟

- زوجتي سهيلة.

- التي كانت تنتظرك عند والدتها؟؟؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(6)

ما أجمل الأيام التي تمر قرب الحبيب، وما أقبحها حينما يتحول لعدو مبين ينتظر اللحظة المناسبة لطعن قلبك بخنجر مسموم.

***

رأت (ريهام) الرسالة على هاتف زوجها فاستشاطت غضبًا وأيقظته بصراخها وبعد أن رأى فحوى المكتوب قام بالاتصال مباشرة بالفتاة التي تدعى (مروة) التي تعمل لديه في المحل ليستفسر عما تقصده مما أرسلت بدون سلام ولا تحية، وبمجرد أن تلقت الاتصال قال بصرامة:

- كيف تجرؤين على إرسال كلمة كهذه؟

- أية رسالة؟ لا أعلم عما تتحدث؟

- وهل هناك شخص آخر يمسك هاتفك؟ أم أنه يفعل ما يحلو له بمفرده؟

- سأرى ما عليه.

ثم صمتت دقيقة، لم يسمع فيها (تامر) غير شهيق وزفير (ريهام) التي التصقت به لتسمع الحديث الذي يدور بينه وبين الفتاة التي أجابت قاطعة الصمت:

- لا تغضب إنه الهاتف اللعين، هذه الرسالة كانت موجهة لحبيبي لا أدري كيف أخطأت في الاسم وأنا أرسلها.

- إن حدث هذا ثانية بالقصد أو بدون، لا أريد رؤيتك مرة أخرى في العمل.

ثم أنهى المكالمة وأدار ظهره إليها ووضع رأسه على الوسادة وأغمض عينيه دون أن يوجِّه لها كلمة بينما هي قد احمر وجهها مما فعله مع الفتاة وشعرت بالخجل، ولكن هل على المرأة سلطان حينما تغار! في الصباح أرادت أن تصلح ما حدث ليلاً، استيقظت مبكرًا وأحضرت الفطور وأتت به إلى السرير، ثم ظلت تقبِّل وجهه وتداعب خصلات شعره المبعثرة حتى استيقظ من نومه فوجد شفتيها، أما عيناه فما كان عليه إلا أن يشرب منهما حتى يروي ظمأه ثم ضمها بقوة وهمس في أذنها وهو يقول:

- لو اجتمعت كل نساء الكون بكفة وأنتِ بكفة سأختارك أنتِ، ليس فقط لأني أراكِ أجملهن، ولكن لأن قلبي لا يشعر بنبضه إلا في وجودك.

- وأنا أغار عليكِ حتى من أنفاسك، أقول لك سرًّا؟

- قل لي.

- أحيانًا أشعر بالغيرة حينما تداعب لارا و سارا ولا تشاركني معهما.

- وهل لي أن أنسى ابنتي البكر.

- أحبك يا تامر ولا أريد أن أعيش يومًا في الحياة بدونك.

وهنا التهمها بدلاً من فطوره الذي برد وبعدها استحمَّ وبدَّل ملابسه متجهًا إلى عمله وبعد مغادرته بحوالي نصف ساعة رن جرس الشقة وحينما نظرت (ريهام) من عين الباب الزجاجية وجدت أباها في الخارج فرفعت حاجبيها وسرعان ما فتحت واستقبلته بكل حفاوة فهذه من المرات القلائل التي يأتي لها بدون سابق إنذار، كاد الفضول أن يأكل رأسها وخاصة أنها رأت في عين أبيها ما يقال فاقتربت منه وربتت على كتفه وهمست:

- هل أنت على ما يرام يا أبي؟

- نعم، أنا بخير، لا تقلقي ولكن!!

فنظر في الأرض ومعها زادت انحناءة ظهره التي لم تكن هكذا قبل دخول (ميران) حياته فقد بدت قسمات وجهه أكثر عمرًا وزاد شيب شعره حتى ذقنه لم يعد يهتم بحلقها وقد ملأها الشعر الأبيض أكثر من رأسه، ثم كسر صمته بتنهيدة وفي آخرها قال:

- أنا بحاجة لمبلغ من المال.

وهنا مطت شفتيها وأدركت ما يحمله أبوها فسرعان ما أجابته:

- وهذا المبلغ طبعًا لقضاء اهتمامات زوجتك التي لا تنتهي؟

- لا لا ليس لها.

- لن أقتنع هذه المرة يا أبي، أنت طلبت مبلغًا كبيرًا في المرة الماضية وأخبرتني أيضًا أنه ليس لها ومرت الأيام وعرفت أنها بدلت سيارتها وأنك قمت ببيع سيارتك وأكملت بالمبلغ لإرضاء غرورها وشراء واحدة ذات طراز أحدث.

- كنت أعلم أنك ستؤنبينني.

- لا أؤنبك يا أبي أريدك أن تستفيق من غفلتك، طلقها واسترِح من متطلباتها التي لا تنتهي، المرة الماضية أعطيتك المال ولم أخبر تامر، مع أنه لم يكن يمانع ولكن اعذرني لن أفعل ذلك مرة أخرى من أجل تلك الطماعة التي لا يهدأ جوعها.

- لا تزيدي في الإهانة أكثر من هذا، ولا تنسي أن المال الذي أخذته مني السبب فيما لديك أنت وزوجك الآن.

- لا يا أبي لقد حافظت على نصيبي وحقي ولو لم أفعل ذلك لكان الآن ضاع هباء تحت أقدام زوجتك المصونة التي أهدرت مالك الذي حصلت عليه بعد معاناة وقطيعة صلة رحم مع عمي.

- لن أجادل معك أكثر من هذا، فأنتِ لن تري غير نفسك والآن أدفع ثمن تربيتي الخاطئة لك، وأنا من بنى الحائط وها هو يهدم فوق رأسي دون رحمة.

وهنا غلبتها دموع عينيها لما شعرت به من جفاء أبيها لها بالرغم من خوفها عليه وتدهور حاله أكثر من هذا ولكنها متيقنة بأن سيأتي يوم لن يجد غير هذا الحائط ليستند عليه.

تركها مع بكائها الذي لم يسترق قلبه له ورحل دون وداع، وفي نفس الوقت الذي كان يجادل ابنته كان يحدث نفس الشيء مع (تامر) و (شريف) في المحل وهو يطلب منه أن يقرضه مبلغًا كبيرًا من المال ليفتح مشروعًا جديدًا ووعده بأن يعيده له هذه المرة وليس كالسابق ولكن بعد مناقشة احتدمت بينهما وكان رفض (تامر) حادًّا فيها لا يقبل خيارات، فقد اجتمع حولهما العاملون وقف البعض يشاهد ومنهم من اقترب محاولاً أن يهدئ الأجواء التي انتهت بقلب (شريف) الصينية على الطاولة التي بينهما وكان بها قدحان من الشاي انكسبا على ملابس ووجه (تامر) الذي لم يبد عليه أي رد فعل حتى غادر المكان ثم صاح في الجميع بغضبٍ:

- كل منكم يعود إلى عمله فورًا.

انفض الجميع إلا (مروة) التي تسمرت مكانها لدقيقة ثم اقتربت منه وكان بيدها منديل فأقدمت على مسح وجهه فأمسك بها وقال محذرًا:

- ألم أقل لك مرتين ألَّا تتعدي حدودك معي، اذهبي واستلمي حقوقك واخرجي دون عودة.

فنظرت له محمرة العينين وألقت بالمنديل على الأرض واستدارت وترجلت بعصبية وقالت بصوت عالٍ:

- الأرزاق على الله، أنت مختل عقليًّا، كل دقيقة بحال، ولكن لو تطلب الأمر لفضحت حالك ووجهك الآخر أمام الجميع الذين يعتبرونك مثلاً أعلى لهم ولا يعلمون بأنك مثل يحمل شرخًا من أوله لآخره.

لم يعقب (تامر)، عما قالت حتى إنه لم ينظر لها وما زال ينظر ناحية الباب الذي خرج منه (شريف) لحالة الفوضى التي فعلها به، وبعدها عاد إلى البيت أفرغ على (ريهام) ما حدث وهي فعلت مثله تمامًا وكل منهما ذهب لينام على أمل أن ينتهي هذا اليوم المشحون بكل تفاصيله، وبعد وقتٍ طويلٍ لم تكن تراوده الأحلام، ها هي قد عادت ويرى نفسه يدخل نفقًا مظلمًا وكأنه ممرّ صرف صحي تحت الأرض حيث رائحته المقززة وقطرات الماء التي تتساقط على جوانبه وتصدر صريرًا ينتفض له دقات قلبه تتسارع من الخوف الذي كلما زدات أسرع هو في خطاه بالرغم من أنه لا يري نهاية النفق حتى الأن، فينطلق خيط من نور يأتي من ثقب في أعلاه ليضيءعدة أمتار، بينما خطي (تامر) بعضها وجد بجانبه طريق لممر آخر أكثر ظلاما يكاد يرى أركانه بصعوبة والماء هنا أكثر تسريبًا حتى وصل لآخره ليجد حائطًا في أسفله فتحة تبدو معبرًا لطريق آخر ولكنها صغيرة جدًّا تكاد تسع لعبور طفل، فجثا على ركبتيه محاولاً أن يرى ما خلفها ولكن لم يوجد غير الظلام، حمل معه صوت تنهيدة لشخص يئن من الألم فظل ينادي "مَن هناك؟ من بالداخل؟ ماذا يجري؟"

ما من أجابه فلم يكن أمامه غير الدخول من النافذة فنجح في تمرير قدميه بنجاح حتى وصل إلى خصره وهنا أصبحت النافذة أكثر ضيقًا لا بل هي بالفعل أطبقت عليه وظلت تضيق حتى اعتصرته وتغير وجهه من الاحمرار إلى السواد محاولاً الإفلات من قبضتها إما بالخروج أو النفاذ إلى المجهول الذي يتواري خلف الحائط، وهنا علت صرخته مع المقاومة حتى استيقظت (ريهام)

واعتدلت وهي تمسك بملابسه وتهز جسده تحاول أن تخرجه من العالم الآخر الذي يراه في منامه، وظلت تنادي باسمه مع دفعه أكثر حتى استفاق وأوقف الصراخ ولكنه ظل يردد في خوف:

- ما زلت أشعر بها تطبق على خصري ليتني تمكنت من العبور لأرى من الذي يطلب مساعدتي، يا الله أعني.

- اهدأ يا حبيبي أنت هنا معي ليس هناك أحد آخر.

فانتفض من نومته جالسًا وسألها بارتباك شديد وهو يتساقط عرقًا:

- أنتِ بخير؟

- أنا بخير لا تقلق.

- والفتيات أين هن؟

أزاح الغطاء عنه وانتصب واقفًا ثم هرع إلى غرفة الفتيات وظلَّ يتحسس (لارا) وكانت بخير غائصة في نوم عميق بينما (سارا) التي بلغت درجة حرارة جسدها ذروتها وتدرج لونها وهي تهمهم وتنادي بأحرف متقطعة:

- أ..م..ي

فحملها بين ذراعيه وهرع إلى أقرب مستشفى بجوار المنزل وأدخلها الطوارئ التي اتخذت اللازم وأغمرت جسد الفتاة في ماء بارد وتم حقنها بدواء لتخفف من احتقان حلقها، فاستقرت حالتها نسبيًّا وعاد بها إلى البيت حيث انتظرته زوجته التي تابعت ما حدثَ لحظة بلحظة عبر الهاتف ولبثت في البيت حتى لا توقظ الفتاة الأخرى، وحينما رأت (سارا) حملتها بين ذراعيها وظلَّت تقبِّل فيها واحتضنتها ونامتا حتى الصباح، استيقظ (تامر) وبدَّل ملابسه وقبلهن جميعًا ثم نزل لعمله وبعدها بحوالي ساعة قلقت (ريهام) على صوت رسالة تم استقبالها على الهاتف فالتقطته وقرأتها ومعها احمرَّ بياض عينيها وجحظت مقلتاها وبدا الغضب على صوتها وهي تكرر قراءة الرسالة بصوت عالٍ:

- أرجو أن تبعدي زوجك عن طريقي فهو يلاحقني في كل مكان.. آآه نسيت أن أخبرك عن الشامة الموجودة أسفل ظهره مثيرة جدًّا هنيئًا لك به وبها.

لم تحتمل ما قرأته وألقت بالهاتف عرض الحائط فسقط أرضًا ثلاث قطع، ثم قامت والتقطته مرة أخرى وأعادت تركيبه وقامت بالاتصال كثيرًا بزوجها دون إجابة، كان في الطابق العلوي في صالة التمارين الرياضية وهاتفه بالأسفل على مكتبه ولم يسمعه، فقامت وبدلت ملابسها هي والفتيات وهي تبكي بحرقة وظلت كلتاهما تسألان في تعاطف فقالت (سارا):

- ما بك يا أمي لماذا تبكين هكذا؟

- ربما تعبة قليلاً.

- لقد نقلت لك عدوى مرضي، أنا السبب، أرجوك لا تبكي هكذا.

ومالت عليها الفتاة وهي تعقد لها رباط حذائها وقبَّلتها وأحاطتها بذراعيها وقالت:

- أحبك جدًّا يا أمي.

- وأنا لم يعد لدي في هذه الحياة غيرك أنتِ وأختك.

واقتربت (لارا) منهما وقبَّلت هي الأخرى والدتها وقالت:

- ونحن نحبك أنتِ وأبي.

وهنا تبدلت ملامح (ريهام) من الانكسار والبكاء إلى الصرامة وهي تقول:

- كفاكِ "لكاعة" دعينا نغادر المنزل الآن ونذهب إلى بيت جدك.

بالرغم ما حدث بينها وبين وأبيها ولكن لا ملجأ تذهب إليه وتشكي همها سواه، وحينما وصلت وهي تركن سيارتها على الجانب الآخر من البناية لمحت من بعيد شخصًا يخرج منها يشبه شخصًا تعرفه حق المعرفة فهمهمت وهي تغلق باب السيارة وتمسك بالفتاتين:

- إنه هو!! شريف... ماذا يفعل في هذه الساعة المبكرة عند أبي.

فنادت عليه ولكنه كان يتحدث في الهاتف ولم يسمعها، فعبرت الطريق ثم صعدت وطرقت الباب ففتحت لها (ميران) الباب وهي ترتدي ملابس نوم شفافة فسألتها باقتضاب.

- أين والدي؟

فارتبكت (ميران) من أسلوبها في السؤال وأجابت بصوت مرتعش:

- أنا استيقظت الآن على صوت الب ....

فقاطعتها (ريهام) مكررة السؤال بعصبية بدت على العروق التي برزت في رقبتها:

- لقد سألتك.. أين والدي؟

- أظنه غادر باكرًا ليقابل أحد أصدقائه على مقهى في وسط البلد.

- وماذا كان يفعل شريف هنا وأبي ليس بالمنزل؟

وهنا اتسع بؤبؤ عين (ميران) وتسارع صدرها العاري في الصعود والهبوط مع أنفاسها وهي تقول:

- شريف!!!

- نعم شريف، لا تحاولي الإنكار أنا رأيته بالاسفل وأراك الآن بهذه الملابس، لعنة الله عليكِ وعليه، ولو أني لا أريد الفضيحة لأبي وتدنيس سمعته بين الجيران لكنت أجبرتك على النزول الآن من البيت بهذه الملابس.

وهنا تبدلت ملامح (ميران) من الخوف إلى التحدي وقالت:

- أنتِ من سينزل الآن من البيت ولا أريد أن أرى وجهك هنا مرة أخرى فأنا سيدة البيت وأبوك هذا لا يخطو خطوه إلا بأمر مني، وحتى إن أفصحت له عمَّا عرفتِ سأنكر وسأخبره أنك تتوهمين وتاريخك معي يشهد على ذلك غير أن دموعي التي ستتساقط على صدره ستجعله يتبرأ منك ليوم الدين.

- أنتِ سافلة ووقحة ولن أتركك تهنأي يومًا واحدًا في هذا البيت.

وقبل أن تنهي جملتها اقتربت منها (ميران) وظلت تدفعها للخروج من المنزل والأخرى تقاوم حتى استسلمت حينما بكت الطفلتان وعلت أصوات الصراخ خوفًا على والدتهما وظلتا تسددان اللكمات الصغيرة لها وتجذبانها من قميصها بعيدًا عن أمهما وفي الأخير استسلمت (ريهام) خوفًا عليهما وأمسكت بأيديهما وغادرت بعد أن توعدت لها بالانتقام لشرف أبيها الذي سلبته أمواله وسمعته، وعادت إلى منزلها وهي تحمل دموع الحسرة على حالها وحال أبيها ثم أمسكت الهاتف وأرسلت الرسالة التي استلمتها صباحًا إلى (تامر) وزادت عليها أنها تريد الطلاق واسترداد كل حقوقها المالية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(17)

الحياة ليست عادلة فكن أنت الجاني الذي يرتدي ثوب البراءة، ولا تكن الضحية وتنتظر الشفقة من أشباه البشر.

***

لم يستشعر (ياسر ديهوم) الصدق فيما سمع من (شريف) في التحقيق وهذا ما شعر به مع أبيه السيد (إبراهيم) وأيضًا مع السيدة (تيسير) فكلٌ منهم ليس لديه دليل عن مكانه يوم الحادث، بالإضافة أنه لم يسقط المشهد الذي رآه في المستشفى عند زيارة السيد (محيي الدين) حينما وقف كل من (شريف) و(ميران) وكان بينهما شيء غير مفهوم والآن بات من اللازم أن تأتي (ميران) لسماع ما لديها فهي صديقة المجني عليها لسنوات عديدة وزوجة أبيها، (ياسر) لديه طقوسه حينما يتولى تحقيق وتبدأ خيوطه بالتشابك كما يحدث الآن، يأتي بقلمه ذي الخط العريض ويذهب للوحة معلّقة بغرفة نومه ويكتب كل الأسماء المشتبه بهم وعلى كلٍ منهم سهم ويربط الأسهم شكل دائرة وكلما سقط الاشتباه عن اسم منهم يضيف خطًا على السهم ليشكّل علامة خطأ دليل على أن هذا الشخص وقع من دائرة أسهمه وبداخلها يرسم سهمًا بخط عريض يطلق عليه السهم المفقود ويكتب أعلاه الجاني وبعد أن ينطلق في تحرياته ويكاد أن يصل للنهاية ينحرف أحد أسهمه التي تكمل الدائرة وتنم عن اسم أحدهم ليغير السهم اتجاهه ويشير إلى السهم المفقود فإما أن هذا الاسم يعود مباشرة للفاعل أو مفتاح للوصول له ولكن حتى الآن لم ينحرف أحد الأسهم التي تحمل أسماءهم: (إبراهيم) ثم (ميران)، (شريف)، (تيسير)، (محيي الدين) و (سهيلة) وكتب في نهاية اللوح الشيخ المصاب فهو الوحيد الذي رأى واقعة المحطة بأمّ عينه.

لدى (ياسر ديهوم) طقس آخر أو عادة فلا يحبذ مشاركة زملائه معه وهذا سبب أساسي لكرهه في مجال عمله ونقله من أكثر من قسم حتى استقر في الأخير وهذا يرجع لعلاقته الوطيدة بالمقدم (مصطفى) الذي يؤمن بمهارته وتفوقه في تحرياته وحدسه الذي يصل للحقيقة قبل إثباتها ماديًا فلذلك حاول إشغال شريكه (عادل) فأوكل إليه تتبُّع خيط آخر مهم وهو الذهاب لمحل عمل (تامر) وجمع أقوال كل العاملين بأسمائهم وكل ما يخصهم صغيرة كانت أو كبيرة.

***

ما زالت النافذة تضيق على خصر (تامر) وكلما قاوم كلما عصرته ألمًا ظل هكذا يصرخ ويستنجد حتى أطلقت صراحه وسمحت له بالعبور إلى الجهة الأخرى حيث يأتي صوت البكاء، وحينما هوي من الفتحة إلى الأرض وقف على قدميه وظل يتحسس الحائط ومشى بحذرٍ في ظلام قاتم ومعها بدأ الصوت في الاقتراب حتى ظهر خيط ضوء آخر من نهاية الغرفة فأسرع خُطاه تجاه الضوء وحملق بعينيه يحدد ملامح البقعة التي تصدر الصوت فوجد نفسه يقف على بعد من فتاة تجلس القرفصاء وتستند إلى الحائط خلفها ينشع منه الماء ذو رائحه كريهة وقد نما العفن الفطري على الجدار، فحاول الاقتراب من الفتاة ولكنه وجد حاجزًا من قضبان حديد بينهما فوقف محملقًا بها وهي مربَّعة اليدين وتدفس وجهها بينهما لا هو قادر على رؤية وجهها ولا هي كفَّت عن البكاء والأنين من ألمٍ يجهل

سببه ثم صمتت فجأة وهنا شعر بسائل دافئ لزج يتساقط عليه قطرات ومع خفوت الضوء لم يدرك في البداية أنها دماء إلا حينما نظر إلى كفه بتمعن وميَّزه، ظل ينظر في كل اتجاه ولم يرَ منبعه وحينما عاد بنظرة للفتاة وجد الدماء قد غطتها بالكامل فأمسك بالقضبان وظل يصرخ محاولاً أن يكسرها وينقذها وبالمقابل مع كل حركة في حلمه يتحرك جسده المتخشب انتفاضة في زنزانته وصوته يصرخ والدموع تنهمر منه حتى اجتمع عليه ثلاثة رجال وفكّوا هذا التصلب في عضلاته ومسحوا بالماء على وجهه حتى فتح عينيه وكل ما حدث وصلت أخباره للضابط (ياسر) فأمر باستدعائه فورًا وكله فضول أن يعرف ما كان يراه (تامر) في الحلم، وفور وصوله طلب منه أن يقص عليه ما حدث، وهنا نظر له الشاب وبعينيه لمحة حزن وبها طلب:

- ماذا تريد يا تامر؟

- أريد أن أرى أمي ولو لدقائق معدودة.

- لك ما تريد بالرغم من أن هذا ممنوع في حالتك.

سقطت الدموع من عينه وهو يشكر الضابط الذي لم يعرف سببًا لتعاطفه حتى الآن ولا يريد أن يعرف كان يكفيه المعاملة الحسنة التي يتلقاها منه في القسم.

- سأقص عليك ما رأيت ولكني أريد أن أخبرك بشيء قبلها.

- ما هو؟

- أنا لم أفعل بها هذا، كنت أكره أحلامي في السابق لأنها تحمل تحذيرًا لمصيبة ما أما الآن فهي السبيل لمعرفة من فعل هذا بزوجتي ريهام.

- لماذا تقول هذا؟

- لأني رأيتها في المشرحة كما أراك.

- رأيت جثتها؟

- لا، رأيتها تقف أمامي كالبدر ولكن حزين، تريد أن تخبرني شيئًا وطلبت مني أن أتابعها، ولكن الرجال منعوني، ما قاله زاد حيرة الضابط الذي وضع يده على خده متأملاً ملامح الشاب وهو يحكي وقد بدت من لمعة عينه أنه يقول الحقيقة، ولكن مع هذا خشي الضابط أن يكون (تامر) ممثلاً بارعًا ويأخذه لطريق بعيد عن مبتغاه فقطع الشك بالسؤال:

- أنت حتى الآن لم تخبرني ما كان سبب الشجار بينك وبين زوجتك في ليلة الحادث.

صمت برهة وشرب كوب ماء ونزع نظارته وأجاب:

- تعمل لدي في محل الملابس فتاة تدعى مروة، بدرت منها أفعال غريبة أكثر من مرة، مثلا ذات ليلة أرسلت لي رسالة بها كلمة "وحشتني" وأنا لم يبدر مني ما يدفعها لذلك وحينما رأت ريهام الرسالة كانت أول مشاجرة بيننا بسببها وحينما عنفت الفتاة على فعلتها اعتذرت مفسرة بأن هذا حدث عن

طريق الخطأ ومع ذلك لم تكف عن اللمسات والنظرات الجريئة في مكان العمل وحذرتها للمرة الثانية في اليوم الذي أتى به شريف أقرضه المال وحصل صدام بيننا بسبب رفضي لطلبه. اقتربت مني بوقاحة وهنا قمت بطردها من العمل، وفي يوم الحادث فوجئت باتصال (ريهام) بي عدة مرات وأنا لم أسمع الهاتف ثم اتصلت بها، ولكنها لم تجب حتى انتابني القلق وقررت بأن أنهي ما أفعل وأعود للبيت للاطمئنان عليها هي والفتيات وخاصة بعد أن رأيت بداية الحلم الذي عاد من دقائق، ولكني فوجئت برسالة منها قد أرسلتها لها (مروة) وتدعي فيها بأني ألاحقها وقد حدث بيننا فعل فاضح فأسرعت لمعرفة عنوان بيتها بعد محاولة الاتصال بها لكن الهاتف كان مغلقًا فأخرجت صورة بطاقتها الشخصية التي أحتفظ بها على حاسوبي ككل العاملين لدي وعلمت عنوان بيتها ثم ذهبت إليها، وهنا وضع نظارته وأكمل بأنه لم يمتلك الجرأة للصعود إلى منزلها وظلَّ يراقبها في الشارع التي تقطن به وسأل البائعين عنها وعن عائلتها وسمع ما لا يسر الأذن ويختلف تمامًا عما أخبره به حارس العقار، فقاطعه الضابط مستفسرًا:

- حارس أي عقار؟

- الذي به المحل والصالة الرياضية.

- أنت سألته أن يبحث لك عن عمال؟

- لا هو من أتى بها من نفسه وقال إنها يتيمة الأبوين وبحاجة للمال والعمل، ولكن ما عرفته أن والدتها على قيد الحياة.

- ثم ماذا رحلت دون أن تراها؟

فأكمل الحكي أنه رآها تأتي من بعيد فأسرع ناحيتها وحاول التحدث بأسلوب مهذب حتى يعرف ما الدافع لما فعلته، ولكنه كان مخطيئًا وهي لم يكن لديها ما تخشاه وحينما سألها عن الرسالة بدلت الحقائق وظلت تصيح بالشارع وتسأله ماذا يريد منها وتردِّد أنها فتاة شريفة تبحث عن الرزق الحلال وهو من يلاحقها لفعل فاحشة معه وهنا اجتمع أهل المنطقة حولهما وأقدم بعض الشباب للاعتداء عليه بالضرب، فحاول شرح الحقيقة، ولكن صوتها كان فاضحًا لدرجة أعمت الجميع عما يقول ولم يجد أمامه غير الانسحاب بأقل الخسائر وتوعد لها بالانتقام ثم سكت ووضع يده على رأسه وبدا عليه الإرهاق، ولكن فضول الضابط كان أكثر من ألم (تامر) فسأله باقتضاب:

- ثم بعد؟

- النهاية.. ذهبت للمنزل و ريهام تشاجرت معي وطلبت الطلاق، فتركتها وغادرت المنزل ولم أرَها من حينها إلا في المشرحة.

وهنا بدأت الأصابع في مداعبة الشارب ولمعت مقدمة الرأس وهو يسأل إلى أين ذهب بعد المغادرة فأجابه (تامر):

- ذهبت إلى قبر أبي فلم أجد غيره ملجأ لأبكي دون أن يسمعني أحد ثم ذهبت إلى المسجد بجوار البيت وصليت ومنها عدت للبيت ولم ألاحظ عدم وجودها إلا صباحًا من الفتاتين ورجال الشرطة ولكني

أقسم لك...

قاطعه الضابط (ياسر) بحماس مقصود ومبالغ فيه:

- لا أريد قسمك، أريدك أن تفكر بأنك الآن المتهم الوحيد بسبب فعل مجرم طليق، حاول أن تقف على قدميك وتساعدني، فلن أصل له بدونك.

- أعدك بأني سأحاول بكل جهدي.

- لا أريد المحاولة فقط، يجب أن تجد وسيلة للخلاص من هذا كله، ارمِ التهم على شخص آخر حتى تشعر بأنك الضحية هيَّا افعل وأرني مَن أول شخص ستراه أمامك وما هَي دوافعه.

- سأفعل هذا ليس لأنني أريد الخلاص، ولكن لن أتركه يهنأ بعد أن سلبني روحي وحرمَ ابنتيَّ من أمهما.

ثم أنهى (تامر) حديثه بما رآه في الحلم وعاد إلى حبسه ومعها تيقن الضابط أن للحديث بقية. ثم قرر الذهاب لزيارة مسائية مفاجئة إلى السيدة (تيسير) في منزلها، وحينما وصل وقامت بفتح الباب له، بدا الارتباك عليها حينما رأته أمامها دون سابق إنذار وفي البداية وقفت وهي تفتح الباب مسافة صغيرة حتى لا تتيح له فكرة الدخول ولكن هو من قام بالسؤال:

- هل تتركين الضيوف بالخارج؟

وهنا لم تجد سبيل رفض دخوله وقالت:

- تفضَّل بالدخول.

أول ما سقطت عليه عينه حينما دخل شكل (تُقى) وهي تجلس أرضًا تلعب مع ابنتي أخيها (سارا) و(لارا) وحينما رأته همت بالوقوف وبادلته السلام وعرضت عليه أن تحضر له قدحًا من الشاي فردَّ عليها مبتسمًا يطلب بدلاً منه فنجان من القهوة فرحبت الفتاة.

- بالطبع لك ما تريد، سأذهب لشراء البن وأعود وأحضره لك.

- إن كان سيسبب لك تعبًا فلا داعي منه.

- لا تقلق على كل حال كنت ذاهبة لشراء طلبات لأمي

فابتسمت الفتاة وغادرت المنزل والسيدة ما زالت تقف مكانها تتابع حوارهما وبعد أن جلس الضابط نظرت إلى الطفلتين وطلبت منهما أن تذهبا إلى الفراش فالليل قد حلّ وهذا وقت نومهما فقالت الصغيرة (لارا):

- تعالي معنا يا جدتي وقصي علينا حدوتة أبي فلن أنام بدونها.

فجثا الضابط أرضًا وأتكئ بذراعه على إحدي ركبتيه والأخري يمررها بلطف على شعر الفتاة وهو يسألها:

- ما اسم هذه الحدوتة يا صغيرة؟

- أنا لست صغيرة أنا الكبيرة، سارا هي الصغيرة وأنا سبقتها للحياة بدقيقتين كما أخبرتني أمي.

وهنا ابتسم (ياسر) ابتسامة عطف بها أسى وقال لها:

- حسنًا أيتها الكبيرة ما اسمها؟

- "الذئب الطيب".

هنا عقد الضابط حاجبيه وقال:

- لم أسمع بها من قبل ولكن لدي فضول أن أعرفها.

فردت الفتاة بصوت رفيع وبكلمات متشابكه تريد أن توضح للضابط أنها شخص ناضج وليست مجرد طفلة لم تتعدى الخامسة فوقفت ووضعت يدًا على جانب خصرها والأخرى لوَّحت بها بكل ثقة:

- بالطبع، لم تسمع بها من قبل والدي هو من قام بتأليفها كان يحكيها لخالتي تُقى وهي صغيرة وبعد ذلك أصبح يرويها لنا قبل النوم.

- هذا شيء عظيم، الآن اخلدي للنوم أنت وهذه الجميلة ولندع جدتك ترويها وسأجلس هنا أسمعها معكما، ولكن سأطلب منها أن ترفع صوتها قدر المستطاع حتى أتمكن من ذلك.

ثم رفع رأسه ونظر للسيدة (تيسير) التي أجابت بعينين زائغتين ووجه صامت لا ينم عن شيء.

- بكل سرور.

ثم مسكت يد الفتاتين وذهبن إلى السرير وابتدأت الحكي.

"كان ياما كان ما يحلي الكلام إلا بذكر النبي عليه الصلاة والسلام، يُحكى أنه في الماضي كان هناك شاب طيب يعيش بكوخ صغير في الغابة، وفي الصباح يخرج ليجلب لنفسه الطعام ومع كل ليلة يذهب للتنزه بين أشجار الغابة وذات ليلة رأى فتاة تركض خلف الأرانب تلعب معهم، ترتدي فستانًا جميلاً ويتدلى من رقبتها قلادة ذهبية تضيء في الظلام فذهب إليها، وحذرها أن تتجول ليلاً في الغابة حتى لا يهجم عليها أحد الذئاب فضحكت وأخبرته بأن ليس هناك ذئاب، الغابة آمنة تمامًا وعرضت عليه أن يأتي معها إلى القصر الذي تعيش به حتى يرى الغابة من أعلى ويتأكد بأن ليس هناك خطر بها، وحينما صعد تأكد مما قالت، ولكنه حذرها أن لا تذهب هناك مرة أخرى واتفقا أن يتقابلا في غرفتها بالقصر كل ليلة ليلعبا سويًّا. ومرت الأيام وأحبت الأميرة الشاب الطيب وذات ليلة تأخر الشاب ولم يأتِ فذهبت الغابة، وبينما كانت تمشي بحذرٍ فوجئت بوجود ذئب يأكل الارانب بوحشية وبعد أن التهم عددًا كبيرًا منهم تحول الذئب الشرير إلى هذا الشاب الطيب الذي تعرفه، فاختبأت خلف الشجرة وبعد أن رحل عادت إلى القصر وقامت بكسر مرآتها حتى يكون معها شيءٌ حادٌّ في حال تحوله إلى ذئب وهجم عليها وحينما جاء أخبرته أنها رأته في الغابة اقترب منها ليسرق قلادتها الذهبية وتحول على الفور إلى حيوان شرس، وقبل أن يهجم عليها أصابته في رقبته بقطعة الزجاج

فعاد إلى صورة الشاب الطيب فقامت الفتاة بالهجوم عليه وألقته من الشرفة فسقط وانتهى أمره، وتوتة توتة خلصت الحدوتة".

تعجب الضابط حينما سمع تفاصيل الحكاية وتساءل: لماذا كان يقصها (تامر) على أخته وابنته وما المقصد الخفي منها؟ هل لياخذن حذرهن من الرجال حتى لا يقعن فريسة للاستغلال ولماذا ركز أن يوصل لهم هذه الفكرة دون غيرها؟ هل لأنها معتقد لديه وقام بفعلها مع المقتولة (ريهام) بعد أن أخذ أموالها ونجح في التخلص منها؟ أم أن له وجهين، يراه الناس بالوجه الطيب بينما هو يحمل آخر بداخله يظهر فقط في الظلام. ظلت الأفكار تراوده حتى سمع الفتاة تطلب من جدتها أن ترويها مرة أخرى انتهزها فرصة يجول بأركان المنزل وانشغال السيدة عنه وعلو صوتها فظل يدور يمينًا ويسارا حتى إنه دخل المطبخ وفتش في جوانبه المتاحة دون إصدار صوتٍ حتى وصل إلى غرفة الأم عرف أنها لها من الصورة التي علقت فوق السرير وتعود لزفافها، ظلّ يتحسس حتى وقعت يده على بعض الأدراج فقام بفتحها بهدوء وكانت المفاجأة في الأخير الذي وجد به الكثير من قصاصات الصور التي تجمع بين (تامر) وزوجته وتعود إلى يوم عقد قرانهما وقامت بقصها وفصل الاثنين عن بعضهما والأجزاء التي تعود إلى (ريهام) قامت بتشويهها بقلم أسود لإخفاء معالم وجهها ظل يقلب فيهم حتى شعر بأنفاس قريبة منه فالتفت ووجدها تقف خلفه وتنظر له فاعتدل وسألها:

- ما هذا؟

- نعم، أكرهها ولكن هذا ليس دليل ضدي لتحكم أني الفاعلة.

ثم صمتت وأخذت قصاصة من صور المجني عليها وقالت بجمود:

- سأعترف لك بأمرٍ لا تعرفه.

- ماهو؟

- نعم فرحت لموتها وكان الانتصار الساحق ولكن ما عكر فرحتي، تورُّط ابني ونور عيوني تامر.

- كيف تدعين أنه نور عيونك وأنت سلبتِه زوجته وأم بناته.

- أخبرتك من قبل لست أنا الفاعلة وهذه القصاصات ليست دليلك أيها الضابط على قول ذلك.

لم يجِبها وتناول منديلاً نظيفًا وقام بجمع أشلاء الصور الممزقة ووضعها في جيبه فوقفت السيدة تشاهده دون حراك وجاءتها الطفلة (سارا) وجذبت طرف قميصها وهي تقول:

- أريد أن أشرب ماء يا جدتي وأريدك أن تنامي معي فأنا خائفة من الظلام.

وهنا لمعت عينا الضابط واقترب من الفتاة وتمنى لو معه بعض من الحلوى حتى يعطيها لها وهنا تردد في ذهنه سؤال فقام بحملها بيده وأخبرها كم هو جميل فستانها وربطة شعرها وظل يستدرجها بالكلام حتى وصل لباحة المنزل وجلس وهي على فخذه وبعد أن أتت السيدة بالماء وشربت الفتاة قال لها:

- هل تريدين أن يعود أبوك إلى البيت؟

- أريده هو وأمي أنا أفتقدهما كثيرًا.

- إذًا فلا بد أن تجيبي على سؤالي.

- وسيعودان؟

- هذا متوقف على ما تتذكرينه.

- سأفعل.

- أتتذكرين ذلك الصباح الذي استيقظتِ ولم تجدي والدتك في البيت وأتوا رجال وأخذوا أباكِ؟

وهنا ظهرت لمحة حزن على الصغيرة وهي تجيب.

- نعم أتذكره جيدًا.

- اليوم الذي يسبقه ماذا فعلت والدتك منذ أن استيقظت؟

نظرت الفتاة في الأرض ولم تجِب.

- هل والدتك لها عادة صباحية مثل تحضير الإفطار، مشاهدة التلفاز، تنظيف المنزل، التحدث في الهاتف مع شخص ما.

- في هذا اليوم لم تفعل أيًّا من هذا.

- إذًا أنت تتذكرين ماذا حدث.

- نعم أتذكره جيدًا.

- حسنًا يا صغيرتي احكي لي وسأجعل جدتك تروي لك الحدوتة مرة أخرى قبل النوم وتنام أيضًا معك الليلة ونظر إلى السيدة متسائلاً فأجابت سريعًا:

- بالطبع سأفعل يا سارا.

وهنا علت أنفاس الفتاة وبدت عليها علامات الحماس وقالت بصوت متهدج

- ذهبنا هذا اليوم إلى بيت جدي محيي الدين وكانت هناك الساقطة (ميران).

- لماذا نعتِها بساقطة؟

- لست أنا، أمي من فعلت حينما تشاجرتا بالأيدي.

- لماذا تشاجرتا؟

- لا أعلم السبب، ولكن أمي رددت اسم عمي شريف أكثر من مرة وهي تتوعد إلى (ميران) بالانتقام منها ومنه.

- (شريف)؟ هل كان هناك؟

- لا لم يكن بمنزل جدي ولكن أمي رأته ونحن نعبر الطريق ولكنه لم يسمعها.

- وأنتم تعبرون الطريق لمنزل جدك؟

- نعم، قبل أن نصعد وتسألها أمي ماذا كان يفعل عمي شريف هنا وجدي ليس بالمنزل.

ثم نظرت الفتاة إلى السيدة (تيسير) وقالت بصوت خافض:

- أريد أن أذهب للفراش يا جدتي.

وهنا عادت (تُقى) ومعها مستلزمات البيت والبن وقالت للضابط:

- سأحضر لك فنجان القهوة حالاً.

- لا أشكرك فأنا سأغادر.

ثم قبَّل جبين الفتاة وشكرها عما قالت وألقى السلام على السيدة والشابة وبعد ذهابه أحكمت الجدة غلق الباب جيدًا وأخذت الفتاة إلى السرير ومنها اتجه (ياسر ديهوم) إلى بيته وقبل أن يبدل ثيابه اتجه إلى لوح السهام وأضاف لهم سهمًا جديدًا به اسم فتاة المحل (مروة) ووضع خطًا آخر تحت اسم كلٍّ من (ميران)، (شريف) و(تيسير) أصبحا خطين وهذا يعبِّر عن الأهمية ثم كتب أسفل اللوح بعد الشيخ المصاب حكاية "الذئب الطيب" حتى لا يغفل عن المقصود منها ربما كان هو حل اللغز سبب في لف حبل المشنقة حول رقبة (تامر) ووالدته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(18)

ربما ما تراه في أحلامك تكتشف أنه الحقيقة التي تعيشها.. وما تعتقد أنه واقع ما هو إلا خديعة تدور بذهنك.

***

ذهب (عادل) إلى المحل وتفقد المكان جيدًا وسمع أقوال كل العاملين التي جاءت في صالحه منها عبارات شكر لكرمه معهم أو مديح في أخلاقه وحسن سيرته واحترام الصغير والكبير وما أثار انتباهه واقعة (مروة) وحادث المشاجرة بينه وبين (شريف) هو آخر يوم لها في العمل، شعر الضابط هنا أنه ربما تكون هذه الفتاة هي خيط مربوط بالحادث أو تظهر حقيقة ما عن (تامر) فبعد أن تقصى وعرف أنها أتت عن طريق حارس العقار أتى به وسأله من أين أتت؟ وكيف عرفها؟ فأخبره الرجل أنه لا يعرفها معرفة شخصية ولكنها أتت له بحاجة لفرصة عمل لأنها يتيمة وتحتاج المال وطلبت منه أن يسأل في محل الملابس الرياضية وإن وجد فرصة يخبر صاحبه أنها من أقاربه حتى يستجيب له وحينما سأل (تامر) رحب بالطلب وخاصة عندما عرف ظروفها، ذهب (عادل) بالتقرير صباحًا إلى زميله ليخبره ما توصل إليه بخصوص (مروة) وهنا اتفقا على أنها خيط مهم في الأحداث حتى إنه حينما سمعه يردد اسم (مروة) سقف له ولكن هذا أغضبه فقد شعر أنه ضابط تحت التمرين وإن كان هو فعلاً يرى ذلك في هذه الفرصة مع (ياسر ديهوم) الاسم الذي تردَّد في حل أكبر الألغاز وأنها فرصة ذهبية ليتعلم منه ومع ذلك رفض هذا الشعور وحينما رأى الآخر ملامح زميله تبدلت علم ما يسره بداخله فأمسك بورق التقرير وكأنه انشغل في قراءته وهنا قال له (عادل) بوجه بارد ونفس غاضبة:

- أعلم أن مشاركتي معك في القضية مكسبٌ لك ولها.

- يعجبني دائمًا الثبات الانفعالي الذي تتمتع به، ليتني أملك بعضًا منه.

ثم سكت ومرر نظره على التقرير حتى وصل لآخر صفحة وهنا رفع حاجبيه وسأله عن عنوان مسكن الفتاة وقال بانفعال حاول أن يلجمه:

- سوف أترك لك هذه المهمة وسأنتظر في أقرب وقت عنوان الفتاة حتى نستكمل باقي الخطوات سويًّا وهناك طلب آخر: أريد منك أن تذهب بنفسك إلى الطب الشرعي وتستعجل النتيجة لأننا بحاجة ماسة لها.

(ياسر) كان يعلم من أين يمكن لزميله أن يحصل على العنوان كما أخبره (تامر) من قبل أنه أخرجه من صورة بطاقتها الموجودة على الحاسوب الخاص به في المحل ولكنه أراد أن يشغله بعيدًا عنه لبعض الوقت ليس كرهًا ولكن لكلٍ منهما طريقة في عمله ولا يريد أن يهدر وقته لشرح كل خطوة يقوم بها، فهم (عادل) ذلك وعرف بأنه يكلفه بصغائر الأمور ورحل ممتلئ بالغيظ من شريكه.

ها هو ينهي فنجان القهوة وسيبدأ التحقيق مع (ميران) التي أتت للقسم بملابس لا تليق بالمكان ولا بحال زوجها المحجوز بالمستشفى ولا بصديقتها المقتولة وبعد أن جلست وسألها عن بداية علاقتها

مع (ريهام)، حكت له كل ما يجمعهم بالتفصيل حتى الفرقة التي تمت بينهما حينما تزوجت أباها وهنا سألها الضابط:

- هل تظنين أن تامر الفاعل؟ وفرضًا ليس هو فمن يكون باعتقادك؟

توقفت عن الرد قليلاً ثم أجابت بكل ثقة:

- توقعت ذلك من البداية.. فمن له مصلحة من موتها غيره فهو المستفيد الوحيد من ذلك.

- اشرحي لي أكثر، ما هي مصلحته؟

- المال الذي سيرثه منها، غير أنه الوصي عليه من الفتيات وما ستتركه لهما أمهما.

- ولكن على حد علمي أنها لم تحرمه من شيء ولديه توكيل منها بجميع الممتلكات.

- وهل هناك بحر لا يريد الزيادة؟

- معك كل الحق.

قالها ثم قام من جلسته وجلس على الكرسي أمامها وقال:

- شريف.

وصمت وهو ينظر لها فلم تفهم ماذا يريد من الاسم فأجابت مندهشة وبسرعة:

- ما به؟ كان يعاملها مثل أخته.

- وهل كان هذا يشعرك بالضيق؟

- ولماذا أشعر بذلك، زوجته هي التي كانت في هذه الحالة دومًا من معاملته وخوفه الدائم على (ريهام) وكأنها طفله وهو أبوها.

- وهل (سهيلة) تعلم عن العلاقة التي تجمعك بزوجها (شريف)؟

وهنا بدا عليها التوتر وزادت حركة عينيها معهاقطرات العرق التي تجمعت على مقدمة رأسها وقالت بصوت مرتبك:

- أية علاقة!! هو صديق ثم ابن شقيق زوجي.

- أقصد العلاقة التي عندما عرفت بها المجني عليها تخلصتما منها حتى لا يكون هناك دليل ضدكما أمام السيد محيي الدين.

وهنا شعرت وكأن دلوًا من ماء مثلج سُكِبَ على رأسها وظهرت على شفتيها رعشة بسيطة حاولت إخفاءها بضمهما ثم قالت:

- ما دليلك على ما تتهمني به؟

- هناك شهود على ما حدث بينكما صباح اليوم الذي اختفت فيه ريهام.

استردت أنفاسها الهاربة ثم أجابت بسذاجة:

- وهل الأطفال من الممكن أن يكونوا شهودًا ويُستدَل بكلامهم في حادث قتل؟

ابتسم الضابط وكشف عن أسنانه وهو يقول:

- كان من الممكن أن يكون لا ولكنك الآن أكدت على صحة كلامهم..!

قامت بإخراج علبة السجائر والقداحة من حقيبتها بيد مرتعشة واستأذنته أن تشعلها وبعد أن أخذت نفسًا تلو الآخر وهدأت بعض الشيء قالت والدموع تتساقط ببطء من عينيها:

- أقسم لك بأن لا دخل لي بما حدث لها.

- إذا فهو شريف.

- لا ليس هو، إنه حتى الآن لا يعلم شيئًا عما حدث بيني وبين ريهام ذلك الصباح.

- ألم تخبريه؟

- لم أجرؤ على ذلك.

- لماذا؟

- ذلك اليوم كنت بحاجة شديدة له بجواري ورفض لأن سهيلة كانت تتشاجر معه منذ أيام لأنها سمعته وهو يتحدث معي على الهاتف ونتفق على مجيئه حينما يذهب محيي الدين عند أصدقائه ولكنه نجح في تشويش الفكرة لديها وأقنعها بأننا كنا نتحدث عن عمه وبأمر يخصه ومع ذلك هي دومًا تشك به وبتصرفاته فاتفقنا على ألا نلتقي في هذه الفترة حتى تهدأ الأمور ولكن كنت أفتقده بشدة؛ لذا أصررت على هذا اللقاء حينما غادر زوجي جاء تلبيةً لطلبي وبعد رحيله حدث الصدام بيني وبينها خشيت أن أخبره فيقرر ألا نلتقي مرة أخرى وكيف لي أن أفقده وهو مصدر متعتي وليس ذلك المسن الذي أتزوجه ففي النهاية حسمت الأمر بأن لن أخبره.

- وبعد أن علمتِ اختفاء ريهام وبعد مقتلها لم تخبريه؟

- لا لم أفعل تملكني الخوف أكثر، تخيلت للحظة أنه سيظن أنني الفاعل وغير ذلك أعرف ما مدى حبه لها والجميع يعرف كرهها لي وكلما ساءت الأحوال كلما تراجعت عن فكرة إخباره.

- ربما تقولين ذلك للمراوغة ولإبعاد الشبهة عنكِ وعن (شريف).

- لدي الدليل ولكن أريد وعدًا منك ألا تستخدمه ضدي.

- ليس هناك وعود ولكن تفعلين ذلك للنجاة بنفسك من المصير المنتظر.

قامت بإخراج هاتفها ثم فتحت رسائل "الواتساب" وقالت له:

- سأريك بعض من المحادثة بيني وبينه فيما يخص الحادث ولكني سأحذفه بعد أن تراه.

وبالفعل قرأها وكان مفادها أنهما لا يعلمان من الفاعل وأنه يخشى بأن تتفوه (سهيلة) في التحقيقات عن علاقتهما فيصبح هناك ربط بينهم وبين الحادث وكلام عن استيائه مما حدث وأنه شكٌ في بداية الأمر أنَّ أباه السيد (إبراهيم) هو الفاعل، وهنا أخبرها الضابط أن بالرغم مما تبين له من المحادثة فهذا لن يخرجهما من دائرة الشبهة.

ذهبت (ميران) إلى المنزل وهي متحيرة هل حان الوقت لتخبر (شريف) فإذا عرف من الضابط لن يسامحها أبدًا، فأرسلت له بأنها تريد التحدث معه بشيء مهم ولكنه أخبرها بأنه بالمنزل وزوجته بجواره ولن يتمكن من التحدث معها فقامت بتناول حبة منوم سريع المفعول فهي لم تعد تطيق الصداع وسرعان ما غاصت في النوم.

وفي نفس الوقت كان يجلس (ياسر ديهوم) في مكتبه يراجع ما قالته (ميران) محاولاً ربطه بباقي الأحداث ولكنه فزع من مجلسه حينما تلقى اتصالاً من السيدة (تيسير) وهي تصرخ وتستنجد به وتقول:

- أريد المساعدة، هناك رجل يحاول أن يتسلل إلى الشقة من نافذة الحمَّام!!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(19)

لن تكتسب الحكمة إلا من تلك العلاقة التي ستترك شرخًا في قلبك وتصهر عقلك من الحيرة وتؤلم عظامك من الفراق..

***

كانت السيدة (تيسير) بالخارج وابنتها (تُقى) غارقة بالنوم. استيقظت الطفلة (سارا) وظلت تنادي على جدتها لتأتي لمساعدتها لكنها لم تجب فحاولت أن توقظ (تُقى) ولكن دون جدوى؛ فذهبت باتجاه الحمَّام لقضاء حاجتها بمفردها وقبل أن تضيء النور سمعت صوتًا وكأن فأراً ينبش خارج نافذة الحمَّام فوقفت مكانها تنظر وتتابع مصدر الصوت حتى رأت في انعكاس زجاج النافذة خيالاً لشخص بالخارج يحاول فتح الشباك ذي الإطار الخشبي وفي المنتصف زجاج شفاف مموه فعادت الطفلة أدراجها بهدوء وذهبت لعمتها (تُقى) مرة أخرى توقظها ولكنها كانت نائمه في عالم الأموات والطفلة (لارا) هي من فتحت عينيها على همس أختها وهي تنادي باسم (تُقى) وقبل أن تنطق هرعت لها (سارا) وقالت بهمس:

- لا تُحدِثي ضجة هناك لص بالحمَّام يريد قتلنا وأظن أن جدتي ليست بالمنزل و (تُقى) نائمة ماذا سنفعل؟

ظلت (لارا) تحملق بأختها بعينين واسعتين لا تستوعب ما تقول ثم اقتربت من أذنها وهمست بصوتها الطفولي الرفيع:

- أتتذكرين الفتاة والذئب؟

- نعم.

- دعينا نفعل باللص كما فعلت الفتاة بالذئب.

فاتسعت عينا الأخرى وبدت علامات الحماس على وجهها مع ابتسامة وقالت:

- أنتِ ذكية جدًّا يا لارا، ولكن ماذا سنفعل؟

- سنذهب بهدوء ثم ندفعه من الشرفة سريعًا

ثم مسكت كلٌّ منهما يد الأخرى وتسللتا بخطوات هادئة بريئة وحينما وصلتا لباب الحمَّام وجدتاه قد نجح في فتح النافذه ورأيتا ملامحه بوضوح من شعاع الضوء المتسلل من الصالة إلى الحمام وتركز نهايته على وجهه وقد اتكأ بيديه على طرف النافذة ليستند عليه ويعبرها للداخل وفجأة دخلت جدتهما من الباب لتجدهما متصلبتين لترى انعكاس ظِل رأس اللص على أرض الحمَّام فهمت بالهرولة وهي تصيح عاليًا فاندفعت معها الفتاتان نحوه لإسقاطه ولكنه همَّ هاربًا تتحسس قدماه طرف رفيع في جدار المبنى من الخارج تسلل إليه عن طريق مواسير المياه حتى أمسك بطرف إحداها وقفز هاربًا. وهنا نظرت الطفلتان لبعضهما وخرجتا تضحكان وتتقافزان من السعادة والشعور بالانتصار بينما أسرعت الجدة نحو النافذة لترى من هذا وما زالت تصيح ليساعدها أحد الجيران الذين خرجوا على صوتها

ولكنهم لم يجدوا أحدًا وحاولوا تهدئتها فقد فرَّ مسرعًا بعيدًا، فدخلت وأحكمت غلق النافذة وهي ما زالت ترتجف من الخوف وتسأل الطفلتين بذعر:

- ماذا حدث؟

فأجابت الفتاة بكل براءة:

- لقد قتلنا الذئب.

فضحكت الأخرى عاليًا وكادت تسقط أرضًا وهي تقول.

- تقصد قتلنا اللص يا جدتي.

بدا الخوف أكثر على وجه السيدة وهي تعيد السؤال بحدة:

- ماذا حدث؟ ومَن هذا الذي قتلتماه.

- هذا الرجل الذي كان بالخارج الآن وسقط.

فهمت الجدة أن الطفلتين تعبِّران بطريقة طفولية وليس هناك قتيل ثم اقتربت الفتاة من جدتها وهي تشد طرف ملابسها وتطلب منها:

- أريد أن أتحدث إلى أبي حتى أخبره أننا فعلنا كما علَّمَنا في حكايته.

هرعت السيدة إلى غرفة ابنتها فوجدتها نائمة فصاحت بوجهها فاستيقظت الفتاة مذعورة من صياح أمها التي أمرتها:

- كفاك نومًا.. هيَّا قومي هناك رجل أراد اقتحام المنزل.

قالتها ثم اتجهت للحمام وتفقدت النافذه مرة أخرى وقد وجدت بالفعل خدوش بها من الخارج، وسرعان ما تناولت هاتفها واستعانت بالضابط (ياسر ديهوم) حتى يأتي فورًا.

وبالفعل حضر في الحال وسمع بتمعن تفاصيل ما حدث من الطفلتين والسيده ثم ذهب إلى النافذة ورأى ما حدث فيها ونظر من خصاصها ليقيم المسافة ليجدها ليست بهائلة ليقفز منها ويفر مسرعًا، ثم طلب من (تُقى) أن تذهب وتشتري الحلوى لهما لشجاعتهما وأعطاها مالاً وفيرًا لهذا وأخبرها إذا وجدت في طريقها محلًّا للعب أطفال تختار أجمل عروستين فيه وتشتريهما. حينما وصل الكلام لسمعهما جريتا إليه وأمسكتا برقبته وقبلتاه وظلتا تصرخان من الفرحة. وحينما رحلت (تُقى) لتلبية رغبته، طلب من (لارا) التي استشعر مما حدث أنها أكثر فطنة من أختها وتجيد وصف الأشياء، أن تصف له شكل الرجل الذي يدعونه بالذئب في حديثهما فوصفت له ملامح عادية مثل شعره قصير جدًّا عيناه صغيرتان وأنفه كذلك فاه وقامت بمد شفتيها كناية عن أنه يمتلك شفتين ممتلئتين بعض الشيء وحينها سألها:

- هذا كل شيء؟

- نعم.

وهنا تدخلت الفتاة الأخرى ببراءة وهي تقول:

- لا ليس هذا فقط، كان لديه كرة هنا.

اندهش الضابط مما قالت وعبر عن ذلك بابتسامة حتى لا تشعر الفتاة بأنها تقول شيئًا غير مفهموم فتسكت وسألها:

- لا أفهم ما تعنيه يا صغيرتي هل يمكن أن تقومي بوصف شكل هذه الكرة التي بوجهه؟

فتدخلت الطفلة الأخرى (سارا) وردت بالنيابة عن أختها:

- ليست بوجهه فهي هنا بالضبط.

وقامت بالإشارة يمينا أسفل ذقنها وقاطعتها (لارا) قائلة بحماس:

- أترى هذه القطعة أسفل أذنك؟ أترى كم هي كبيرة مكورة الشكل؟

فضحك الضابط بصوت عالٍ وهو يتحسس أسفل أذنه قائلاً:

- نعم أراها.

- لديه قطعة تشبه الكرة زائدة هنا عند ذقنه.

فهم مما تصفه أن الرجل يتميز بنتوء جلدي بيضاوي الشكل بذقنه فقام بمهاتفة (عادل) وطلب منه صباحًا أن يبحث بين صور المشتبه بهم ومَن كان عليه أحكام قضائية عن شخص لديه ثؤلول- زوائد جلدية- في ذقنه ووصفها له وأكد عليه أن يُحكِم بحثَه في المشتبهين بهم في المنطقة السكنية التي بها منزل السيدة (تيسير) ونطاق منزل (تامر) و (ريهام)، ثم أكد على الطفلتين أن تتوخيا الحذر من كل الأشخاص ونبَّه على الجدة أن تقوم بعمل سياج حديدي حول النوافذ الأكثر عرضة للخرق وحذرها أن لو حدث أي مكروه لهما سيتم القبض عليها ومساءلتها.

هو لا يعني ما قاله ولكن مجرد زرع الخوف في قلبها لتعتني بحياة الفتاتين ومع ذلك فقد تأكد من ثلاثة أشياء من هذه الفعلة الحمقاء: أولاً أن الفاعل بالخارج يكمل خطته ويمحو كل طريق للوصول له، ثانيًا أصبحت دائرة الاتهام أكثر إحكامًا على (شريف) و (ميران) لأن من مصلحتهما اختفاؤهما حتى لا تكونا دليلاً على فعلتهما، ثالثًا وأخيرًا شعر بأنه بدأ يمقت هذا العمل. وبعد انتهاء هذه التحقيقات سيفكر بتغيُّر مجال عمله وهذا الشعور ينتابه مع كل حداثة يتأزم بها الوضع ولا يجد سبيلاً لحل شباكها، ذهب إلى منزله واتجه إلى لوح السهام وقام بكتابة اسم (سارا)، (لارا) والسيد (محيي الدين) والد المجني عليها وكان موضعهم بعيدًا عن دائرة أسهم الاتهام وهذا يعني أنهم في موضع مساعدة للوصول للسهم المفقود، ثم بدَل ثيابه وأدار التلفاز ونام على الأريكة حتى الصباح، ومع شروق الشمس استعد عدة خطوات أولها الذهاب لزيارة السيد (محيي الدين) في المستشفى على أمل أن يستطيع الرد على أسئلته وبعد وصوله حذره الطبيب لأن حالته الصحية لا تسمح بالانفعال ومع ذلك لم يتراجع وبدأ في التحقيق معه.

- هل ابنتك كان لديها أعداء؟

فردَّ الرجل بصعوبة في التنفس:

- ماذا تعني كانت؟

- لا لم يحدث لها مكروه، لقد خانني التعبير فقط ولكننا لم نعثر عليها حتى الآن؛ لذا أنا أريد مساعدتك ربما أجد فيه ما يدلني على مكانها.

تماسك الرجل قليلاً ثم جاوبه قائلاً:

- ابنتي منذ ولادتها وهي كالملاك يحبها الجميع لابتسامة وجهها وروحها الطيبة.

- ولكنها على خلاف مع زوجتك.

- هذا من حقها فهي عاشت وحيدة معي لسنوات عديدة ليس من السهل أن تقبل أية امرأة في البيت وهي تعتبرني ملكية خاصة لها.

ثم سكت الرجل قليلاً واسترد أنفاسه الهاربة وأكمل:

- وأنا أيضًا أخطأت في حقها حينما تزوجت من صديقتها فتاة في نفس عمر ابنتي، ليست مناسبة لي بالمرة.

- أخطأت في حقها أم حق نفسك؟

- في الاثنين ولكن حينما أسترد عافيتي سأطلقها وأريح نفسي وابنتي.

- هل لديك شك بأن ميران، هي من تسببت في اختفاء ابنتك؟

- لا ليس الوضع هكذا! إنها فتاة ذات شخصية ضعيفة وغبية لا تجرؤ على إيذاء أحدٍ، لا تملك القلب ولا العقل لتدبير شيء، المال هو كل اهتمامها في الحياة.

- هذا جيد جدًّا! ربما تخلصت منها حتى ترث أنت ابنتك وتتمتع هي بالمال وكما علمت أنها أفلستك تمامًا.. ربما هي ومحتمل أن يكون هناك من يساعدها ويدفعها لفعل ذلك..

ردَّ الرجل بهدوء أعصاب وهو يعيد الكمامة الطبية إلى وجهه ويضغط على زر استدعاء الممرضة الموجود بجوار أصابع يده:

- شريف، جبان لا يُقدِم على شيء غير المخدرات والنساء.

وهنا سقط فوه الضابط وشعر بنار تسري في جسده وبدأت ثناياه في إفراز العرق بشدة رغم اعتدال درجة الحرارة وقبل أن يكمل جملتَه:

- ماذا تعني بذلك؟ أنت تعرف عن العلاقة التي تجمع شريف و ميران؟

دخل الطبيب ولاحظ الإرهاق على وجه المريض فطلب من الضابط أن يوقف الحديث معه وأن ينصرف ولكنه رفض وأصر على المتابعة. استمر في طلبه بصوت مرتفع حتى أطلق جهاز ضبط التنفس صفيرًا يعني أن المريض لا يتنفس بشكل منتظم وطبيعي فهرع الطبيب ومعه الممرضة لمساعدته وهنا لم يملك (ياسر) غير الانصراف مضطرًا ولكن بعد أن أكد على الطبيب.

- احرص على سلامته وشفائه العاجل يا عادل في أقرب وقت واستكمل معه التحقيق.

انصرف وهو يكاد أن ينفجر غضبًا مما قاله وما فعله الرجل وبسبب الغيظ الذي تملكه تمنى لو استطاع أن يذهب إلى لوح السهام الخاص به ويضع اسمه في وسط دائرة الاتهام أعلى السهم المفقود، وبينما هو في سيارته الطريق إلى القسم تلقى اتصالاً يخبره أن الشيخ الذي أصيب في محطة مترو الأنفاق قد استعاد وعيه الآن ولكنه في حالة صحية حرجة. وبعد أن أنهى المكالمة قال محدثًا نفسه بصوت عالٍ:

- ما بال هذا اليوم كله في المستشفيات!

ثم غيَّر وجهته إلى المستشفى التي بها الرجل. وحينما وصل شرح له الطبيب حالته الصحية وأنه فقدَ الكثير من الدماء في ذلك الحادث مع كبر السن أدى إلى خلل كبير وأضرار جسيمة في جسده وربما يجد مجهودًا حتى يستجمع ذاكرته وتركيزه ليجيب عن الأسئلة، تفهم الضابط ذلك وحينما جلس معه حاول مرة أخرى أن يجمع معلومات من الرجل ولكن كلماته كانت متقطعة وغير مفهومة إلى أن فقد (ياسر) الأمل وأنهي التحقيق معه واتجه للطبيب مرة أخرى الذي بدوره أكد له أنه سيستعيد عافيته قريبًا، شكره الضابط ورحل عائدًا إلى القسم، فما زال لديه يوم طويل حافل بالمفاجآت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(20)

الوهم.. هو أحد أنواع الخداع البصري يستطيع أن يجعل العقول تشهد الأشياء على غير حقيقتها ويسلمون بها..

***

لم تكف الفتاة عن البكاء ولا الدماء عن التساقط حتى (تامر) لم يستطع الخروج من هذه الغرفة المظلمة وكلما غفت عينه رأى طيف (ريهام) تريده أن يتبعها وكلما فعل وجد نفسه حبيس تلك الجدران مرة أخرى ظل الحلم يتكرر وكأنه شلال ماء يعيد نفسه دون توقف، أول ما فعله (ياسر) عندما وصل مكتبه طلب حضوره لتكملة التحقيق معه وحينما حضر لاحظ عليه بأن حالته تدهورت من آخر مقابلة وأصبح أكثر نحافة والسواد نشع تحت عينيه حتى وصل لمنتصف وجهه. وبعد أن جلس أول ما نطق به:

- هل تعلم ما حال الفتاتين؟

- إنهما بأفضل حال كنت معهما منذ ساعات معدودة.

- لماذا؟ هل حدث لهما سوا؟

- لم يصِبهما مكروهٌ بل هما من أحدثتا ذلك، حاول أحدهم اقتحام نافذة بمنزل والدتك ولكنهما استفادتا من الدرس الذي لقنتهما أنت إياه جيدًا.

- درس ماذا؟

- أنت الذي ستشرح لي المفاد من قصة "الذئب الطيب".

فهم (تامر) بسرعه ماذا يعني الضابط وعلام يلمح فربما يكون هو هذا الذئب ولكن مستتر خلف الوجه الطيب فأجابه بسرعة:

- ما وصل لذهنك غير صحيح، هي مجرد قصة اختلقتها لأختي (تُقى) منذ طفولتها حتى تخاف من الرجال فهي كانت تكبر بسرعة ومعها يزداد خوفي عليها من العالم الخارجي، ما شهدته في حادث أمي في صغري ترك أثرًا في نفسي جعلني أخشى عليهما من الهواء العابر والدرس المستفاد الوحيد منها أن تأخذ حذرها من كل الذكور.

- ما عدا أنت؟

- أنا أثق بنفسي وبماذا أفعل فلن أؤذيها يومًا بل سأفديها هي وأمي بروحي.

- و ريهام؟

- ما بها؟

- هل نجح الذئب الطيب من سرقة قلادتها الذهبية وبعد أن وضع يده على زمام الأمور بات من اللازم التخلص منها لتهنأ أنت ووالدتك وأختك بالغنيمة كاملة؟

- لا يوجد في الكون شيء له جانب واحد، دائما هناك جزء مضيء وآخر معتم، لا يرى أحدٌ في حياتي الجزء المعتم كنت أعيشه بمفردي أبكي، أصرخ، أتألم، كلما اشتهت نفسي ملبسًا أو مأكلاً قنعتها وفضلت عليها عائلتي وكان هذا السبب الرئيسي للخلاف الذي بين أمي وزوجتي كانت هذه المرة الأولى التي فضلت نفسي على رغبات أمي وهذا ليس بهين عليَّ أو عليها ولكن فعلته لأني وجدت فيها عوض رب العالمين عن كل ما حرمت نفسي منه.

- إذًا فأنت اختلقتها من الجانب المضيء.

قالها الضابط مبتسمًا وهو يتملكه شعور بالتعاطف مع (تامر) كلما حاول أن يبعده تمكَّن منه أكثر، تقدمت خطاه حتى وقف بجواره وربت على كتفه قائلاً:

- يجب أن تساعدني، يراودني شعور أننا اقتربنا من النهاية بالرغم من أني لم ألمس دليلاً واحدًا أثق فيه، حتى الآن دائرة الاتهام تشمل الجميع وبنفس درجة الاشتباه. كلٌّ منهم لديه دوافعه للتخلص من زوجتك حتى أنت والفيديو خير دليل.

لمعت عينا (تامر) وهو يقول:

- الفيديو!! أريد أن أواجه الرجل المصاب.

- إن الرجل في حالة خطيرة لا تسمح له بذلك.

- لم أكن أنا، أقسم لك بحياة أمي.

- دعك من هذا وابحث بداخلك عن أكثر شخص تحوم حوله الشبهات، ولتضع نصب عينيك أن كل شخص له نقاط ضعف، لذا فدائمًا المجرم صعب المنال يكون أول خيط له شيء له علاقة بنقطة ضعفه.

- ليس مجرم بل أنثى.

- ما الذي دفعك لقول ذلك؟

- الفتاة التي أراها في الحلم تبكي، ليست (ريهام) بل هي أول الخيط الذي تريده مني، حاولت تجاوزها والفرار من الغرفة لكنها تعيدني إليها مرة أخرى.

ظل (ياسر) يتحسس شاربه وبعد صمت دقائق قال بصوت خفيض:

- إذا فأول الإناث المشتبه بهن هي السيدة تيسير.

- لا، أمي امرأة حكيمة لن تفعل شيئًا يؤذي أولادها حتى لو كانت تموت غيظًا.

بعد قليلٍ من الصمت استكمل (ياسر) أسئلته طارحًا رؤية (تامر) جانبًا حول الجاني.

- ما رأيك بـميران والسيد محيي الدين والد المجني عليها؟

- ميران، فتاة غبية لا ترى غير المادة والسيد محيي لم أفهمه يومًا؛ شخص غامض لا يتكلم كثيرًا ولكن من المستحيل أن يقدم على فعل شيءٍ ولو من بعيد يؤذي ابنته الوحيدة.

وهنا دخل الضابط (عادل) مقاطعًا الحديث قائلاً بشغف:

- لدي لك مفاجأتان يجب أن تعرفهما قبل أنه تكمل حديثك.

هنا نظر (ياسر) إلى (تامر) ونادى العسكري وأمره أن يعيده إلى زنزانته ثم أمسك الورق الذي بيد زميله وبعد أن جلس ظلَّ يتابع ما كتب به بوجه جامد هادئ قابضا على لفائف التبغ بشفتين ممتلئتين يحدق بوجهه الصقري بين السطور فحاول (عادل) أن يقاطعه ويعرف ما يجول بخاطره ولكنه رفع يده فأسكته بإشارة موجزة وعاد إلى الكلمات وكأنه دخل الآن حيزًا أكثر تعقيدًا وأشد قبحًا، فأصبح يبتلع ريقه بصعوبة وهو يجفف العرق البارد على جبينه، بينما تدور عيناه في محجريهما، لم يفهم (عادل) ما سبب المبالغة فيما يحدث مع زميله ففي النهاية المجني عليها ليست أحد أقاربه، فاقترب منه وسأله:

- ما بك، أنت بخير؟

هنا فتح (ياسر) فمه في ذهول وقال بصوت متهتك من التوتر:

- نحن الآن نقف داخل مثلث أضلاعه الثلاثة: اختطاف، سم قاتل، ثم حرق.

- بالضبط هذا ما جاء في تقرير الطب الشرعي أن الضحية تم حقنها بسم قاتل يسبب اضطرابات في الرؤية وعدم اتزان ثم بعد سريان مفعوله حدثت الوفاة ثم حرقت بمادة مشتعلة والأجزاء التي لم تنَلها النيران بها كدمات وبعد التحقق تبين أن الأمطار في ذلك اليوم كانت غزيرة؛ لذا لم تصل لكل أجزاء الجسد ولكنها نجحت في القضاء على أي أثر يمكن تتبعه ليدل على هوية الفاعل.

بعد أن أنهى (عادل) كلماته عن تقرير الطب الشرعي نظر إلى الضابط متسائلاً في حيرة:

- أنا ما زلت لا أفهم ما سبب مسحة الحزن التي على وجهك يا ياسر؟

- إنه ماضينا الذي يجعل منا ما نحن عليه.

بدت الكلمات ثقيلة وكأن أمرًا ما عبر ذهنه وإعادته ذاكرته الغادرة إلى شيء مكروه لا يحب أن يذكره.

- لا أفهم ماذا تقصد يا صديقي.

- لا تشغل بالك، الماضي هو ماضٍ دعنا نرى الحاضر حتى لا نقع في أخطاء حدثت منذ زمن بعيد.

- ما تقوله ليس باعثًا عن الاطمئنان ولكن دعني أخبرك بالمفاجأة الأخرى.

- هناك أكثر من هذا.

- نعم فقد توصلت إلى عنوان فتاة المحل التي تدعى مروة، وهي في طريقها إلى هنا ليتم التحقيق معها..

وهنا عاد البريق إلى عينيّ ياسر وكأنه استعاد حماسه وقال:

- حتى الآن كل الرؤى باهتة، ولكن الحديث مع تلك الفتاة سيُحدث فارقًا في الأحداث التالية أنا أثق بهذا.

- إذا سأدعك تقوم بذلك وانصرف، فزوجتي تنتظرني عند طبيب الأطفال وإن تأخرت عليها.. أنت تعلم الباقي لا داعي لقوله.

ضحك (ياسر) وودعه وما حدث كان في صالحه لأنه تركه يعمل منفردًا بعيدًا عن الضجيج، فبعد رحيله شرب فنجان قهوة سادة واستعد للحديث مع الفتاة التي دخلت للتو وجلست أمامه بنظرات كلها جرأة تحدٍّ وبدأ بأسئلته المباشرة، لم تكن في البداية ترغب في الإفصاح بشيء وكل إجاباتها مقتضبة ومراوغة حتى حذرها الضابط بصرامة وهنا أخرجت علكة من حقيبتها وبدأت في مضغها وهي تقول:

- أنا لا أفهم ماذا تريد أن تعرف متى بالضبط، فقد أخبرتك بكل ما حدث منذ أن تقدمت للعمل مع السيد تامر حتى قام بطردي.

- لا أنت تفهمين جيدًا ما أعنيه أريد تفاصيل العلاقة التي كانت بينك وبينه وليس في مجال العمل.

- هكذا يكون السؤال، أنا لا أمانع في الإفصاح عما حدث بيننا وليس لدي ما أخشاه.

- أحسنتِ صنعًا.

قالها ثم تقدم الخطى وجلس أمامها كعادته، ولكن قبل أن تستكمل حديثها طلب منها قطعة من العلكة فأخرجت واحدة من حقيبتها وناولته إياها مضغها وأصبحا الاثنان الآن يتسابقان في حركة الفم وفي تحدي النظرات المتبادلة ثم أكملت:

- تامر، شخص ليس متزنًا؛ فمنذ أن بدأت العمل لديه وهو كل دقيقة بحال تارة يريد أن يتقرب إلى سواء بنظرات ومداعبات جسدية في الخفاء أو ينقلب حالة إلى شخص يكاد لا يعرفني ويتهرب منِّي.

- أريد توضيحًا لما تقولينه.

- يومًا يتصل بي ويطلب أن أقابله بعد العمل في محل الملابس ويطلبها صراحة أنه يريد إقامة علاقة جنسية معي ويومًا آخر أتصل أنا به يبدو كأنه لا يعرفني وأن شيئًا لم يحدث بيننا، وحينما كنت أقدم على النظر له أو الابتسام كان ينهرني أمام الجميع ثم يعيد الكرة ثانية؛ يتصل بي وبالفعل أعود بعد انتهاء العمل ورحيل جميع العاملين ويحدث بيننا لقاء جسدي كامل.

- كنت تفعلين ذلك مقابل مال؟

- طبعًا ولماذا أفعله بدون؟ أنا لا أقع بغرامه.

- لماذا كنت تراسلينه ليلاً وأنت تعلمين أنه بالمنزل؟

- لم أكن أعلم أنه بالمنزل أو أن زوجته سترى ذلك، ولكن كما أخبرتك هو كل دقيقة بحال هذا اليوم الذي رأت فيه زوجته رسالتي، طلب مني أن أستعد للقاء بيننا غدًا ولكني لم أرَ الرسالة في وقتها كنت نائمة وحينما استيقظت راسلته أنا أيضًا ولكنه كالعادة عاملني كأني نكرة وما زاد الطين بلة حينما رأت هي هاتفه ولكني أدركت سريعًا أنها بجواره شعرت بنبرة صوته المختنقة بأن هناك شيئًا يحدث غير طبيعي فتعاملت بذكاء وتأسفت على خطأ غير مقصود.

- ماذا حدث يوم الحادث حينما أتى إلى أسفل منزلك قبل أن يعود لبيته ويحدث ما حدث؟

- سأخبرك ما حدث من قبل ذلك، حينما تشاجر مع أحد أقاربه الذي يدعى شريف، حاولت التقرب منه وأهدئه، ولكنه قابل ذلك بطردي وأهانني أمام الجميع من حينها وأنا توعدت بالانتقام منه إذا حاول أن يقترب مني مرة أخرى، بالفعل قام بالاتصال عدة مرات يريد أن يراني ليقيم علاقة جسدية معي ولكني حذرته ألا يتصل بي ثانية، وبالرغم من ذلك لم يكف وقام بتهديدي بأنه يملك صورًا لي وأنا في أوضاع غير أخلاقية وأنه يستغل ذلك، لا يعرف أني لا أبالي بما هدَّد به. وبالفعل ذهبت لمقابلته في المساء وأخذت رقم زوجته من هاتفه وحينما أتى الصباح وبعد أن غادر المنزل وأنا أعلم تمامًا مواعيد خروجه وعودته قمت بإرسال رسالة إليها.

- أين هذه الرسالة؟

- للأسف أنا لا أحتفظ بالمحادثات أحذفها أولاً بأول، لماذا لم تبحث عنها في هاتف زوجته؟

- لم يستدل عليه حتى الآن، ولكن أسمعها منك الآن.

- "أرجو أن تبعدي زوجك عن طريقي فهو يلاحقني أينما ذهبت ثم يأتي أمام الناس ويفتعل المشكلات.. آآآه نسيت أن أخبرك بأن الشامة الموجودة أسفل ظهره مثيرة للغاية هنيئًا لك به وبها".. تمامًا كما أرسلتها لها.

ثم بصقت العلكة التي تمضغها وتناولت أخرى وقصَّت عليه أنه حينما يئس من كثرة الاتصال دون جدوى، جاء إلى أسفل المنزل الذي تقطن فيه وقام بتهديدها مرة أخرى أنها إذا لم تَقُم بالاتصال بزوجته وتختلق قصة تفسر بها لماذا أرسلت هذا الكلام سيقوم بقتلها والتخلص منها بأقرب وقت وحينما سمع الجيران والشباب المارون بالشارع قاموا بالتدخل وضربه حتى انسحب مغادرًا، ومن حينها وهي لا تعلم عنه غير ما تراه على مواقع التواصل الاجتماعي.

وهنا ابتسم (ياسر) ابتسامة عريضة وقد بدا سعيدًا بالفعل لأنه تأكد أن (مروة) هي المفتاح الذي يأخذه إلى السهم المفقود، ثم قام من جلسته وشكرها على صراحتها المطلقة وأخبرها أنها وفت وكفت في الإجابات وإن لزم الأمر سيتم استدعاؤها مرة أخرى، ولكن هذا احتمال بعيد لأن دورها بالنسبة له انتهى، كان يخبرها بذلك ليبعث في نفسها الأمان تتحرك بحرية ليصل لمبتغاه سريعًا، هي في البداية جعدت حاجبها لرد فعله المبالغ فيه ثم تبدل ذلك بنظره براءة ردًّا منها على خبثه الذي فهمته وهي تقول:

- الدنيا ما زالت بخيرٍ ما دام هناك رجال أوفياء لعملهم مثل سيادتك.

ما قالته الفتاة يدين (تامر) ويثبت بأنه غير متزن نفسيًّا وربما يكون ذا عقلية فذة ليتلاعب بكل مَن حوله إلا أن (ياسر ديهوم) كان له رأي آخر أكَّده له حدسه، فهذه الفتاة لغتها الجسدية تثير الريبة، كانت تتجنب النظر المباشر له وطيلة الوقت تنظر في الفراغ وكلما تحدثت لامست يدها فمها والحلق الذي ترتديه في أذنها فبهذا وغيره تأكد بالكامل أنها تكذب وهنا خطرت بباله بأن يحضر المتهم لتتم مواجهة بينه وبينها ربما يحدث منها أو منه أمر يكشف المستور. وبالفعل أتى. وحينما دخل وأذن له الضابط بالجلوس أمامها ظل يرمقها بنظرات احتقار بعد أن سمع بإنجاز ما قالته قبل مجيئه من الضابط الذي صمت الآن لينتظر ويرى ردة فعل الاثنين ولكنه لم يجد غير النظرات والصمت، فأذِن لها بالأنصراف حتى يستكمل معه ويعرف ما لديه ردًّا على ما قالت، وبينما هي تقترب من الباب لتغادر وقف (تامر) وقال:

- ما رأيك بمئة ألف جنيه وتقولين الحقيقة بدلاً من هذا الزيف؟

تسمرت مكانها والتفتت ببطء ونظرت له باستنكار لما قاله، ثم انصرفت ومعها لم يعد الضابط يريد سماع أقوال من (تامر) وطلب إعادته للحبس، وهنا شعر بعد انتهاء التحقيق بحاجة إلى راحة؛ لذا قرَّر أن الليلة لن يفعل سوى شراء وجبة عائلية تكفي خمسة أفراد من قطع الدجاج المقلي الحار والجلوس أمام التلفاز حتى إنهائها، وبعد أن عاد البيت قرابة الساعة السادسة وقبل أن يبدِّل ثيابه جلس بالفعل أمام التلفاز وأدار قناة أفلام الرعب الأجنبية لطالما كانت المفضلة له ويبدأ في التهام الدجاج قطعة تلو الأخرى حتى أنهاها بالكامل ولم يتبق أمامه غير العظام فاتكأ على الأريكة وهو يتابع الفيلم محاولاً أن يفتح عينيه بصعوبة حتى غاص في نوم عميقٍ ولم يستيقظ إلا الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وبعد أن استفاق استردَّ وعيه لمح مشهدًا علىَ التلفاز كتم معه أنفاسه حتى نهايته ثم انتفض من على الأريكة وقال لنفسه "ذلك التفسير الوحيد والأكثر منطقية"، ثم نظر لآخر الردهة وفكر لدقائق والآن أصبح أكثر قناعة بالشيء الذي رآه؛ فقال مرتجفًا من شدة الإثارة:

- مستحيل أن يكون هناك تفسير غيره.

ثم قام وذهب لغسل يديه ووجهه وتناول هاتفه واتصل برئيسه وطلب منه بإلحاح أن ينزل لمقابلته لأمر شديد الأهمية وحينما سأله المقدم (مصطفى) عن الأمر أجابه أنه عرفَ لغز الحادث وترجَّاه أن ينزل فورًا. وبالفعل تقابلا في المقهى الذي اتفقا عليه وبينما يمد يده لإلقاء السلام قال له رئيسه بحزمٍ وضيقٍ:

- لن أغفرها لك يا ياسر إذا كان الأمر عاديًّا.

- رد السلام أولاً واطلب لنا كوبين من القهوة.

- لا سلام ولا قهوة اجلس وأخبرني ما لديك.

ابتسم الضابط وهو يقول:

- أوامر سيادتك يا افندم..حينما عدت للبيت بينما كنت أتناول أوراك الدجاج اللذيذة المقرمشة غصت فـ...

قاطعه رئيسه بغلظة.

- تريد أن تراني الآن لتخبرني عن الدجاج الذي أكلته!

قهقة (ياسر) ثم كتم ضحكته وتأسف وأكمل ما يقول:

- بالتأكيد لا، سأخبرك الأمر المهم قد شاهدت منذ قليل مشهدًا في فيلم أجنبي القاتل كان يرسم على وجهه ابتسامة المهرج ويضع كل زينته ويغطي رأسه بشعر مستعار لونه وردي، وبذلك كان يتنقل بين العامة بحرية وبدون أن يكشف أحدًا هويته وبهذا ارتكب عدة جرائم قتل دون التوصل لحقيقته.

- وما علاقة المهرج بالحادث؟

- (تامر)!!! له نفس شعر المهرج ولكن باللون البني غير أن النظارة التي يرتديها تغطي نصف وجهه، هيئة جسده غير مميزة وبسيطة ليس هو بالطول الواضح ولا عضلات عريضة، هذا بالإضافة إلى أن المقطع المصور لا يتضح فيه ملامح الوجه بالتفصيل يأتي بالهيئة الخارجية العامة لأنه كان يغطي النصف الأسفل من وجهه بالشال الصوف الذي يلتف حول رقبته.

- ثم؟

- ثم إن ما ظهر هو النظارة وشعره الكثيف وشكل جسده غير المميز.

- ما زلت لا أفهم ما ترمي إليه.

وهنا أوضح ما لديه حتى لا يطيل على رئيسه الذي بدا جليًّا على وجه الحنق وأخبره أن ربما يكون أحد انتحل شخصية (تامر) وارتدى شعرًا مستعارًا مجعدًا كثيفًا ومعه نظارة بنفس الإطار تغطي معظم وجهه أما الجزء السفلي غُطيَ عن قصد بالشال وهذا التفسير المنطقي لأقوال المتهم بأنه لم يكن هناك. اعتراف بائع البطاطا أنه كان معه في ذلك الوقت.

- أنت تسير في خط عمل خاطئ يا ياسر.

- دعني أشرح لك أكث...

- اسمح لي أيها الضابط تخمينك للحادث تخمين مبنٍ على الغرور والثقة الزائدة بالنفس والانحياز الشخصي.

- الانحياز الشخصي؟؟

- نعم، وتأتي الآن وتبيع لي هذه التخيلات، من يفعل ذلك بضحيته بعد تسميمها فهو قطعًا مضطرب نفسيًّا وكل التحقيقات تثبت أن تامر غير متزن.

- أتريد حينما أتوصل لحدس ما ألا أبحث عما خلفه؟ هناك تسمُّم وقتل وحرق؟

- هذه المرة شاركه مع نفسك أمام المرآة؛ فليس لدينا متسع من الوقت ويجب أن تتوقف عن تحليل الناس وابدأ في تحليل نفسك.

- نحن لم نقف أمام القاضي ولم يصدر الحكم. ومن واجبي أن أتأكد بأن رجلاً بريئًا لن يتم إعدامه بتهمة القتل العمد.

- اسمع.. إذا كانت لديك أية نية لإعادة نظر فيما قلت أو شيء جديد تريد أن تطرحه على الطاولة بخصوص التحقيق في الحادث، فهذا الوقت المناسب.

- لا تعليق لدي على ما تقول.

- أنت تعلم أني أعتبرك بمثابة ابن لي، ويجب أن تنسى الماضي يا ياسر وتعيش حياتك، كنت آمل أن تحيد مشاعرك بخصوص هذا النوع من القضايا.

بدأت قدم الضابط اليسرى في الإهتزازٍ وعلى وجهه قسمات الانفعال لما رمى إليه الرئيس في الحال ثم وقف وصدره يتسابق صعودًا وهبوطًا وقال قبل أن ينصرف دون سلامٍ:

- لن أسمح لأحدٍ باتهامي بالخلط بين حياتي الشخصية وبما أواجهه في عملي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(21)

في السماء انشقت حواء من جسد آدم فأصبح له توأم روح، نصف آخر بعيدٌ عنه إن حالفه الحظ وعثر عليه في الأرض اكتمل بهما الواحد الصحيح حتى بعد الموت تبقى الأرواح متصلة حتى ولو بالأحلام..

***

صمتت الفتاة عن البكاء وتوقفت الدماء المتساقطة ولم يتبقَّ إلا السكون، وحينما فتح (تامر) عينه متوقعًا أن يرى أمامه الفتاة التي كانت تبكي، ولكنه لم يجد غير الظلمة، ثم أدرك أنه ملقى على الأرض وغطى جسده بالقماش وربط بإحكام من عند الرأس والقدمين وكأنه داخل كفن متسخ رائحته كريهة ظلَّ يعافر محاولًا أن يفك إحدى العقدتين حتى نجح في اللحظة التي كادت فيها أن تنقطع أنفاسه، وأول ما رأت عينه بعد أن أزاح القماش من على رأسه وجد (ريهام) أمامه وفتاة تدير له ظهرها تشدد قبضتها على رقبة زوجته التي لا تقاوم وكلما أحكمت مسكتها زاد صوت حشرجة حتى ازرقَّ لون وجهها، فحاول أن يحرك ساكنًا ولكنه بالرغم من فك العقدة إلا نصفه السفلي أبى أن يتحرك وكأنه أصيب بالشلل؛ فحاول الصراخ لتتركها الفتاة فوجد أن صوته هو الآخر في غير محله. استمر الوضع هكذا حتى لفظت النفس الأخير وبينما جسدها يتهاوى أرضًا شبكت الدلاية التي كانت ترتديها في سلسلة رقبتها في يد الفتاة فقامت بخدش كف يدها اليمنى ومعها نزفت وعلت صرخة منها محاولة أن تضغط ليتوقف الدم وإذا بها تحرك رقبتها في اتجاه (تامر) وقد أوشك أن يعرف من هي فيقوم العسكري بإيقاظه ويخبره أن يستفيق وكفاه نومًا فقد حل الصباح والضابط يريده على الفور.

بعد أن ترك (ياسر) رئيسه ليلاً عاد إلى بيته ولكنه ظل مستيقظًا حتى الصباح ثم ذهب إلى مكتبه وقام باستدعاء الشاب حتى يسأله عن الشامة التي بأسفل ظهره إن كانت مروة تكذب كيف عرفت بها، في البداية صمت محاولاً أن يتذكر ولكن دون جدوى، ثم أعاد الضابط السؤال بشكل أوضح بأن يضيق دائرة البحث بين الأشخاص المقربين فقط وبعيدًا عن الأم وأخته وبهكذا تبقى الأصدقاء أو الأقارب وهنا قاطعه (تامر) قائلاً:

- سهيلة!

- سهيله زوجة شريف؟

- نعم هي والجميع رأوها ونحن في رحلة العين السخنة ذات يوم أيام الجامعة.

- ولماذا ذكرت سهيلة بالتحديد؟

- لأنها الوحيدة التي سخرت منها حينما رأتها وظلت تضحك.

- إذًا فالجميع يعرف بها.. ميران و شريف و سهيلة؟

- نعم.

- يا إلهي! أعني كلما ضاقت دائرة الاتهام اتسعت مرة أخرى.

- لدي جديد أريد أن أخبرك به.

وهنا أخبره (تامر) بالتفصيل عما رآه في الحلم منذ قليل، وأكد له أنها أنثى، التي قامت بالقتل، وليس ذكرًا وشدد عليه أن يبحث من بين الكل على مَن يحمل جرحًا في يده اليمنى فهذه علامة تركتها (ريهام) بدايتها التي تحمل صورة (لارا) و (سارا) حتى نستطيع أن نعرف الفاعل، وبعدها أتى العسكري وأخذه ليعيده إلى زنزانته تلقى الضابط مكالمة من رئيسه يريده على الفور في مكتبه، وحينما ذهب وجده هو وزميله (عادل) كانا يتحدثان ثم حل الصمت ففهم أن ما كان يدور له علاقة به فسبق ببدء الحديث قائلاً:

- لقد تفهمت ما أخبرتني به الأمس وقبل أن تستدعيني للمجيء كنت سأحضر من نفسي لأخبر سيادتك أنني على وشك التوصل إلى الفاعل لا يفصلني عنه غير حلقة واحدة.

- أعرف أنها بادرة نوع من التعاطف والفضول لمعرفة ماذا لديك ولكني لن أسأل لأني أعلم جيدًا أن الجميع لديك الآن متورط، ثق بي يا ياسر، إنك النوع المفضل لدي من بين زملائك في العمل، ولكن ليس لدي متسع من الوقت فالجميع يلح بإنهاء التحقيق هذا غير أن كل الشواهد ترمي إلى فاعل واحد وأنا أرى أنك الآن تذهب في خط عمل خاطئ تمامًا.

- هذا يعني شيئًا محددًا تريد أن تبلغني بي نهاية هذا الحديث؟

- نعم.. للأسف من الآن سوف تترك هذا التحقيق تمامًا ويتابع عادل ما بدأت.

- ولكن!!!

- لا مجال للاعتراض هذا ليس قراري أنا حتى أتراجع عنه.

بدا على وجه (ياسر) الكثير والكثير من الإحباط والضيق، ومع آخر محاولة يترجى فيها المقدم (مصطفى) أن يسانده للاستمرار ولكنه قاطعه قائلاً:

- المشكلة الحقيقية هي أنك تتعامل مع التحقيق بشكل شخصي ورواسب قديمة لم ينتهِ صراعها بداخلك.

نزل طعم الكلمات كالحنظل مع ريقه بعد أن ابتلعها بصعوبة فاستأذن بالانصراف على مضض حتى لا يدخل في مثل هذا النقاش مع رئيسه وهو يعرف تمامًا أنه سيخرج منه مدانًا، وحالما انصرف وأغلق الباب خلفه كان الفضول يملأ (عادل) الذي اعتدل لرئيسه وسأله بملامح اللامبالاة الطاغية دومًا عليه:

- هل لي أن أعرف إلام كنتما تلمحان؟

- إنه ليس سرًّا حربيًّا، ولكن لا يعرفه الكثيرون هنا، المقربون فقط منه، ولكني سأخبرك لسبب محدد لدي وهو حتى لا تحاول أن تشاركه فيما ستفعل.

وهنا بدأ المقدم (مصطفى) يحكي بالتفصيل ما حدث منذ سنوات في تلك الليلة الشتوية مع (ياسر) وزوجته، قبلها بشهر كان يتابع التحقيق في حادث قتل وكل أقوال الشهود والأدلة المادية تؤول إلى

فاعل واحد وبالرغم من أن حدسه الذي يعيره الاهتمام الأول والأخير، كان ينتابه شعور بأن هناك خطأ ما يحدث في مجرى هذا الحادث ولكنه ولأول مرة لم يسِر خلف ذلك لأن انشغاله كان ينصب على زوجته التي أصبحت حبلى حديثًا وهذا حدث بعد زواج دام خمس سنوات لم يُرزقَا بأطفال، فلم يهتم حين ذاك إلا بها وبالجنين المنتظَر.. بعد ذلك تم البت في القضية والفاعل تم إعدامه وبعدها بأيام وعن طريق الصدفة البحتة تم ظهور الفاعل الحقيقي وطفت معه على السطح أدلة وشواهد جديدةً غير المزيفة التي قدمت من قبل، في ليلتها لم يسامح (ياسر) نفسه على إعدام الرجل وحمَّل نفسه الذنب وذهب مساءً إلى أحد النوادي الليلية التي تقدم مشروبات كحولية وظل يشرب حتى أصبح في دنيا أخرى وكانت زوجته تلح بالاتصال به حتى تطمئن على مكانه فأجابها في الأخير ولم تفهم منه شيئًا وحتى يتخلص من إلحاحها أعطى الهاتف للنادل الذي أنزل توًّا على الطاولة كأس شراب ممتلئة من النوع الفاخر عالي التركيز، فأجابها وأخبرها بالمكان وعنوانه فسرعان ما بدَّلت ثيابها ونزلت في ساعة متأخرة وأوقفت سيارة أجرة وذهبت له، ومع مساعدة النادل استطاعت أن تسنده على كتفها الصغير إلى الخارج واستقلت سيارة أخرى وكانت الساعة قد قاربت على الفجر "حينما يأتي الحظ الجيد فهو يقرع بابًا واحدًا، إنما المصائب تدخل دفعة واحده من جميع النوافذ وتهدم الجدران دون سابق إنذار" انتهز السائق الشاب، الذي أنهى للتو سيجارة ليست بريئة، أن الرجل الذي يجلس في الخلف فاقد الوعي تمامًا والسيدة الرقيقة التي لم تكف عن تقبيله والمسح على شعره تعتبر بمفردها، وأول ما حانت الفرصة ووجد شارعًا ساكنًا خاليًا تمامًا من العربات والبشر توقف فجأة وأحكم قفل زجاج السيارة وكل الأقفال ماعدا واحدًا ونزل وأمسك (ياسر) من كتفه وألقى به في الشارع وركب مكانه وأحكم غلق الباب وانقض على السيدة الحبلى في شهرها الثاني وظلت تترجاه وتخبره أنها معرضة للخطر وإسقاط الجنين مع أقل مجهود وكم هي عانت حتى رزقها الله به ولكنه لم يسمع غير صوت شهوته، مع حلول ضوء النهار بدأ يستفيق شيئًا فشيئًا حتى فتح عينيه ووجد نفسه ملقى بجوار رصيف في الشارع ثم مدد بصره خلفه ليجدها بوجه أبيض كالثلج ودماء على جسدها الضئيل الذي تعرى معظمه وروح قد صعدت لخالقها..

لم يتعافَ بعد هذه المصيبة إلا بمرور ثلاثة أعوام حتى استطاع أن يعود لحالة اجتماعية سوية بعد علاج مكثف بدَّد الاكتئاب وتحسنت صحته بما يكفي ليخرج ويستأنف حياته، انخرط بعدها في عمله والتحقيقات التي كنا نسندها إليه بكثرة بهدف إلهائه وكان يثبت فيها جدارة، إلا تلك الحوادث التي تكون الضحية فيها أنثى، يتعامل معها بحساسية مفرطة فما بالك بتلك التي يتابعها الآن بعدما عرف بالتعدي على الجثة، أعلم تمامًا أنه يضعها مكان زوجته وأنه هو (تامر) والآن سيفعل أقصى ما بوسعه حتى يثبت براءته لأنه لا يرى غير (ياسر ديهوم) داخل الزنزانة مقيدًا وقاتل زوجته حر طليق في الخارج وبعد أن فشل في العثور على سائق سيارة الأجرة والآن سنحت الفرصة أمامه ليسترد ثأره وحق زوجته وجنينها، أسقط (عادل) فاه من هول ما سمع ولم يكن يعلم عنه شيئًا البتة، حتى اغرورقت عيناه تعاطفًا مع زميله وبعد أن كان منتشيًا فرحًا لأنه سيحل مكانه في التحقيقات الآن يلعن نفسه وتمنى أن تعود هذه الساعة أدراجها يعارض المقدِّم (مصطفى) في قراره وحاول مستميتًا أن يدافع عنه وعن حقه في إنهاء هذا التحقيق الغامض بنفسه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(22)

القاتل بات الآن في منتصف الدائرة لم يتبقَّ معه غير سلاح وحيد وهو عقله.. هل سينجو به أم سيضلله ويبقيه داخلها حتى يتم كشف حيلته؟

***

بعد أن خرج (ياسر) من مكتب رئيسه، شعر أنه سقط في هاوية اليأس، طفا الخوف على وجهه، أصبحت كل الرؤى باهتة، وكل استنتاجاته ضبابية بات يستنكر معظمها، ظل يجوب الشوارع بسيارته باحثًا عن مأوى هربًا من هذا الاهتزاز الذي يتملك روحه، وبعد انقضاء ساعات عدة وما زال على نفس الحال استقر وبدون وعي ولا ترتيب أمام أحد البارات فلم تطأ قدمه مكانًا مماثلاً من ليلة الحادث المشؤم ورغمًا عنه أجبرته نفسه على الدخول فهو بحاجة ماسة إلى الإحساس بالخدر والاسترخاء الذي يحمله المشروب وبالرغم من قرار الانقطاع عنه منذ سنوات إلا أنه بعد أول جرعة والثانية بدأ الخوف يتلاشى وتوتره يتبدد وثقته بنفسه تزداد، فأسرف في الشراب حتى تصاعدت موجات غثيان إلى حلقه فتشنجت معدته مما دفعه إلى التقيؤ في أقرب سلة مهملات من طاولته وبينما يحاول استعادة توازنه، تقترب منه فتاة وقامت بمسح فمه بزاوية منديل فقابلها بإيماءة مرحبة وأكمل ليلته..

اليوم التالي الساعة التاسعة صباحًا استيقظ على صوت الهاتف وكان بمضض، شعر بوجع فوضع يده على رأسه وكأن الدم يطرق جمجمته، موجات ألم تخترقها من خلف عينيه وفي كل رأسه حاول أن يقاوم جفاف حلقه ويجيب على الهاتف:

- مَن؟

- استيقظ يا ياسر أنت في مأزق كبير؟

وهنا نظر إلى اسم المتصل فوجده (عادل) فاعتدل وأجاب سريعًا بعد أن تنبه لخطر ما:

- ماذا حدث؟ هناك جديد في حادث تامر و ريهام؟

- الجديد عنك أنت، هناك مقطع جديد انتشر منذ قليل على مواقع التواصل الاجتماعي وأرسل خصيصًا في البداية على حساب "الفيسبوك" لوزارة الداخلية مكتوب أسفله "ها هم رجال الوطن الشرفاء يحتفظون بالفاعل في مأمن بين أربعة جدران لديهم ولا يريدون القصاص لروح القتيلة المحترقة ريهام"

اتسع بؤبؤ عينيه لمنتهاه وهو يقول:

- رأيت يا عادل هذا دليل على براءة تامر مَن يعلم غيرنا ما حدث بالجثة؟ نحن لم نصرِّح بذلك لأحد، هذا شخص قريب جدًّا ويعرف أنني من يتولى التحقيق في الحادث ولكن ما لا يدركه أنه قد تم استبعادي الآن فأراد أن يضيق الدائرة علينا، هناك أحدٌ بالخارج يريد أن يلتف حبل المشنقة حول رقبة (تامر) ليس فقط ليبعد الشبهة عن نفسه لاااااا!!، الأمر هنا له علاقه واضحه بـ...

قاطعه الضابط وهو يصرخ في الهاتف:

- دعك من كل هذا أنت الآن في مأزق كبير، بل نحن جميعًا معك، تعالَ على الفور نحن في انتظارك.

- أرسل لي ذلك الفيديو فأنا لا أتذكر شيئًا من أمس.

وجد نفسه يستند على ذراع فتاة، تذكَّر ملامحها الآن، وهو يترنح حتى وصل إلى طاولته فجلس وهي بجواره، وظلت تقترب منه وهي تتمايل بدلالٍ وتسكب له الخمر في كأس تلو الآخر حتى أنهى الزجاجة فأشار لنفس النادل وطلب منه زجاجة أخرى فانحنى النادل واقترب من مسمع (ياسر) وقال له شيئًا فنظر له الآخر وهو يضحك ويحرك رأسه يمينًا ويسارًا غير مبالٍ قائلاً "لا" ثم اتجه النادل للفتاة وفعل نفس الشيء فتجهم وجهها وتركها وانصرف فقامت وقبَّلته من فمه. قبلة حاولت أن تطيل منها ولكنه دفعها لا إراديًّا بعيدًا عنه وانتهى إلى هنا. لم يجد في الفيديو ما يعيبه كرجل ولكن هناك ما يسيء إليه كضابط وعليه مسؤولية أن يظهر أمام الناس كقدوة وليس كسكير ومنها راح يقلب ما رآه ويجوب الحجرة طولاً وعرضًا محدثًا نفس "ذلك الحادث المعتم لقد استهلكت فيه ردحًا طويلاً من الزمن ولم يتبقَّ هنالك إلا جدار غير مرئي لي بيني وبين الفاعل ولكنه يراني جيدًا ويتتبع خطواتي، الأمر بات الآن شخصيًّا بيننا ليلتقط الباقي من أنفاسه مستمتعًا بالقادم".

قالها ثم بدَّل ثيابه وذهب إلى البار ليعثر على النادل وكان يتوقع أن يجده مغلقًا في ساعات النهار الأولى، فاقترب من الحارس وعرفه بنفسه وأن الأمر رسميٌّ ويريد النادل ضروريًا فأخبره الرجل بعنوان منزلة فاستقل سيارته وذهب إليه على الفور وبالفعل وجده وسأله عمَّا حدث بالأمس بالتفصيل فهو عاجز عن تذكر ما حدث وكيف عاد إلى بيته فأخبره النادل أنه حينما طلب زجاجة الخمر الأولى كان يجلس بمفرده وحينما طلب الثانية لاحظ بأن معه فتاة تجلس فسأله هل تعرفها فأجابه بلا فكل من يعمل بالمكان لديه أمر بأن لا تدخل أية فتاة متطفلة مجالسة الزبائن من الخارج في المحل فلديه فتياته اللواتي يقمن بخدمته، فطلب منها إما أن تعود لطاولتها وتترك هذا العمل لأهل المكان أو تتركه وترحل في صمت حتى لا يتعدى عليها أحد من الحراس. وبعد أن رحلت عدت إليك بالزجاجة الجديده ولكنك طلبت مني أن أجد أحدًا يحملك إلى المنزل وأخرجت من جيبك على الطاولة إكرامية سخية وطلبت أن يأتي أحدٌ معك ليوصلك للمنزل هذه الأمور تحدث معنا طيلة الوقت وكل شيء بمقابل، وهنا شكره (ياسر) وانصرف وتيقن الآن بأن هناك من يترقب خطواته، فذهب منها إلى رئيسه و (عادل) اللذين كانا بانتظاره تحت ضغط وعصبية كبيرة وحالما وصل وجلس معهما قال له له رئيسه في حدة:

- أنت متوقف تمامًا عن العمل من الآن إلى أن يتم حسم أمرك وأحذرك من فعل أي حماقة يكفي ما حدث.

ردَّ بخجل واضعًا يده على صدغه:

- أعتذر لسيادتك بشدة وعن حماقة الموقف الذي وضعتك فيه.

ثم ألقى السلام وغادر الحجرة بهدوء، وهو الآن يقف داخل الزنزانة مع (تامر) يسأله إن كان رأى جديدًا في أحلامه فأخبره الآخر بأن راحة يدها المجروحة ما زالت تنزف، فاكتفى الضابط بأنه ربت

على كتفه مبديًا تعاطفًا زائدًا هذه المرة قائلاً

- ما تراه في أحلامك أكثر صدقًا من واقعك.. فتتبع الرسائل بحذر وستجدني بجوارك دومًا.

ومنها خرج (ياسر) وذهب لزميله وطلب منه أن يرفع المراقبة عن الجميع ويحاول أن ينشر خبر ذلك بشكل غير مباشر للإعلام وأنه قريبًا سيعاقب المتهم الحبيس عن فعلته، يفعل ذلك في هذه الساعة وليس بعد ذلك، ثم عاد إلى بيته بعد أن ركن سيارته متعمدًا أمام البناية، ثم صعد متجهًا إلى الحمَّام ونزع قميصه ووقف أمام المرآه محدثًا نفسه "لن أستطيع فعل ذلك بنفسي" وكاد أن يبكي، وبعد مرور ساعة مرت عليه كالدهر خرج وقد قام بحلق شاربه الكث وشعر رأسه كاملاً فباتت جدران بيته تتساءل من هذا؟ والآن قرر أن يبدأ اللعب مع المجهول بنفس طريقته وهي الخداع البصري، ثم هاتف حارس العقار الذي يقيم فيه وطلب منه إحضار جلبابًا وعمامة بيضاء وأكد أن يختارهما قطعًا بالية، وقرر أن يراقب كل تاء تأنيث تم التحقيق معها، فجاءت السيدة (تيسير) وابنتها (تُقى) في أول القائمة، فنزل متخفيًا في شكله زيه الجديد تاركًا السيارة مكانها للتمويه متجهًا إلى منزلها وربض أسفله مترقبًا، بعد مرور نصف ساعة ظهرت السيدة وهي تنظر يمينًا ويسارًا ثم غادرت وهو خلفها يترك مسافة كافية حتى لا تلاحظه وبعد أن جالت عدة شوارع توقفت أمام منزل بعينه ورمقت كل الاتجاهات قبل أن تصعد وبعد أن اطمأنت دخلت بهدوء وهو بعدها ولكن لم يتمكن من معرفة أية شقة قصدت ولم يجد حارسًا ليسأله فطرق باب أول شقة وكشف للرجل عن هويته مستفسرًا عن كل من يسكن فيها ولم يجد فيما سمع ما يربطه بالسيدة غير هذا الرجل الخمسيني الذي يسكن بمفرده، فسأل مرة أخرى عنه بالتفصيل وإذا كان هناك ما يربطه بسيدة تدعى (تيسير)، فأجابه بنعم فهي زوجته تتردد عليه من آنٍ لآخر، لأن لديها بيتًا وأولاد ترعاهم، فصعد مهرولاً إلى الشقة ففتحت له وهي بملابس البيت وحينها بدا على وجهها الخجل وهي تطلب منه الدخول وبعدها أخبرته مفسرة المفاجأة:

- نعم أنا متزوجة والكل يعرف إلا تامر ابني وليلة الحادث كنت هنا مع زوجي وخشيت كشف هذا في التحقيق حتى لا يعرف فأزيد من أزمته ويعرف أن أمه قد استيقظت بداخلها روح الأنثى وشعرت بالغيرة من زوجة ابنها وهي بأحضانه وأرادت أن تشعر أنها مرغوبة بهذا العمر، تفهم ما قالت ولكن تبقَّى لديه أمرٌ واحدٌ يريد التحقق منه فنظر لها سألها بريبة:

- هل لي أن أرى راحة يديك؟

لم تفهم ما خلف الطلب وما علاقته بما قالت أو بما يمر به ابنها ومع ذلك كشفت عنها وحينما لم يجد ما يبحث عنه فانصرف وتركها في هدوء، ومنها اتجه إلى تاء التأنيث الثانية وكانت لـ (ميران) فمكث قرابة الساعتين دون إحداث جديد حتى شعر بالملل وإذا به يهم بالانصراف ليتجه إلى الثالثة وهي (مروة) فوجد هاتفه يرن وتعجب لماذا يتصل به (عادل) في ذلك الوقت، فقد اعتقد بأنه سيقطع علاقته به وخاصة في هذه الفترة خشيةً على صورته أمام الرئيس، فأجابه ليجده يقول وكله إثارة وحماس:

- الفاعل ليس تامر، أنت على حق ولو لم يتم استبعادك بسبب ذلك الفيديو لكنت الآن هنا وشاهدت ما حدثَ..

وهنا ظهرت (ميران) وتحمل بيدها صندوقًا صغيرًا ثم استقلت سيارتها وانطلقت وهو خلفها وما زال الضابط معه على الهاتف مفسرًا ما يحدث، بأن الرجل المصاب الذي تم الاعتداء عليه في محطة مترو الأنفاق استعاد وعيه كاملاً أتيحت الفرصة بالتحقيق معه وعلى الفور حينما علم ذلك ذهب إلى المستشفى وعرض عليه صورة حديثة لوجه (تامر) بدون النظارة للتأكد من ملامح وجهه، وهنا انفجرت المفاجاة الثانية؛ فقد جاء الرد مغايرًا لكل الآراء إلا حدس (ياسر ديهوم) الذي تأكد حينما قال الشيخ بأنه ليس نفس الشخص الذي اعتدي عليه، فأعيد عليه السؤال أكثر من مرة خشية بأن يكون ما زال فاقدًا الوعي وكل مرة كان يؤكد ما يقول مما دفع الضابط الحصول على تصريح خاص بإحضار الشاب إلى المستشفى تحت حراسة مشددة ليقطع الشك باليقين وهذا ما جعل المقدم (مصطفى) أيضًا يدعم خروج ذلك التصريح في وقت قياسي والآن يقف المتهم أمام الشيخ الذي نفى تمامًا أنه رأى هذا الشخص قبل هذه اللحظة وبدأ في وصف الآخر الذي لم تختلف مواصفاته عن (تامر) إلا في ذلك الثؤلول الموجود في أسفل ذقنه ووصفه بأنها تشبه حبة من العنب ومعها تذكَّر (عادل) هذا الوصف وهذا الثؤلول الذي ذكرَه زميله من قبل فهو نفس الشخص الذي حاول اقتحام منزل السيدة (تيسير) ولم يجد له أية سوابق إجرامية.

توقفت (ميران) بالسيارة أمام محل ذهب وحينما دخلت أخرجت من العلبة التي تحملها خاتمًا من الألماس ومعه أسورة ذهبية وعرضتهما للبيع، وحينما أخبرها البائع عن المبلغ المقابل رحبت وطلبت منه إحضاره فأدار ظهره ليعرض النقود فأمسكت هي بمرآه مستديرة على حامل خشبي صغير كانت على الطاولة أمامها يستخدمها الزبائن لمعاينة شكل الحلي بعد ارتدائها، فبينما هي تتفحص زينتها من خلالها انزلقت من يدها المرآة رغمًا عنها فحاولت أن تتفادى سقوطها كي لا تتكسر ولكنه حدثَ، وقام أحد أجزائها المنكسرة بجرح يدها وهي تحاول تجميع أشلائها وتعتذر للرجل فشعرت معها بألم وتساقط الدماء فتدخل البائع بالمساعدة حتى أوقف الدم وضمدها جيدًا ثم أعطاها المال فحاولتً تعويضه بمبلغ صغير لما أحدثته من فوضي ولكنه رفض فالقت السلام ورحلت

كان (ياسر) يقف خارجًا يشاهد المفاجأة الثالثة غير مصدق ما يرى في الحلم أصبح حقيقة، فسقط فاه من الدهشة وظل يفرك بعينه لعله يتوهم، ثم أمسك بهاتفه وقام بالاتصال بـ (عادل) الذي أنهى معه الحديث منذ دقائق وأخبره بصوت هامس:

- هل تم إيقاف المراقبة على الجميع مثلما اتفقنا؟

- نعم.

- تمام هذا يعني أن الجميع بمأمن الآن ويتحركون بحرية تامة، أريدك أن تنتظرني متيقظًا يا صديقي فأنا الآن أمام السهم المفقود!

- السهم المفقود؟ ماذا تعني بذلك؟ هل تقصد الفاعل؟

لم يجيبه (ياسر) وأنهي المكالمه وتواري عن الأنظار حينما وجدها تخرج من المحل بعد أن أخذت المال وضمدت الخدش الغائر ثم رحلت واستقلت سيارتها وهو خلفها يركب نفس سيارة الأجرة منذ أن بدأ تتبعها وهنا يزاح الستار عن مفاجأة جديدة، وصلت في نهاية المطاف إلى ذلك الشارع في

المنطقة الشعبية، يعرف الضابط جيدًا من يقطن فيها فقام بالاتصال بـ (عادل) طلب منه أن يحضر إلى العنوان حيث تسكن (مروة) فتاة المحل على الفور.

- الآن أصبح لديك المال الذي عرضه عليكِ (تامر) وأكثر قليلاً، أتمنى أن يُغلِق هذا فمك إلى الأبد.

- أنا لا أفهم لماذا كل هذا الغضب يا (ميران)، أنتِ صديقتي ولكن كما اتفقنا في البداية إنها صفقة أنا أقدم لك خدمة مقابل مبلغ من المال.

- وأنت أخذت كل ما اتفقنا عليه بعد أن قمت بدورك مع تامر ولكن ما يحدث منك الآن يدعى طمعًا.

وهنا تبدل صوت مروة التي كانت تتحدث بهدوء والآن بنبرة سخرية:

- هذه صفقة جديدة وإن كنت معترضة على إتمامها فلا بأس، سأذهب إلى تامر والضابط وأخبره بكل الأكاذيب التي تم تلفيقها إليه زورًا وآخذ منه المقابل الذي عرضه.

وهنا وقفت (ميران) وبدأ حذاؤها ذو الكعب العالي في إحداث ضجة وهي تتجه إلى الباب لتغادر ثم توقفت وقالت بلهجة آمرة:

- أتمنى ألا تكون هناك صفقات أخرى من هذا القبيل حتى لا تضعي نفسك في مأزق ولن يكون معي هذه المرة. أنت تعلمين جيدًا عمَّن أتحدث!

قالتها وانصرفت ثم أخرجت هاتفها تحاول أن تتصل بأحدٍ، ولكن كما يبدو أنها لم توفق ولم يجِب عليها، ظلت تتصل حتى وصلت لسيارتها، وهنا احتار (ياسر) هل يذهب إليها ويواجهها بما حدث الآن ولن تستطيع إنكاره، أم يتتبع القادم معها وهنا رنَّ هاتفه وكان (عادل) الذي وصل توًّا وكان يقف على مقربة منه فاتجه إليه سريعًا وحينما ركب السيارة ظلَّ يضحك حينما رأى التغيُّرات التي طرأت على شكل (ياسر) الذي قام بعرض خيارين أمام زميله ولأول مرة ترك له الحسم هل يقدمان على مواجهتها الآن أم يتتبعانها، فأجابه في أقل من ثانية:

- فلنفعلها...

- أي منهما؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

النـهايـة

"الآن يا حبيبتي دعي روحك ترقد في سلام"

***

في نفس التوقيت دخل رجل مكتب المقدم (مصطفى) ليخبره أنه أتى ليكشف أمرًا هامًّا حول مقتل (ريهام محيي الدين) ويفضح خبايا الحادث، بعد أن جلس أخرج ورقه وقال أن السيد (محيي الدين) قام بكتابتها وتوقيعه مثبت في أسفلها، وحدث ذلك قبل وفاته وشدَّد على صديقه أن لا يذهب بها إلى الضابط (ياسر) أو من ينوب عنه إلا في حالة وفاته والآن يشرع في قراءة ما بها.

" بعد ليلة الحادث بيوم وبعد القبض على (تامر) وعودتي إلى المنزل دون أن تشعر بوجودي (ميران) سمعتها تتحدث في الهاتف مع (شريف) وتتشاجر معه لماذا لم يلقِ بجسد (ريهام) في البحر مثلما اتفقا وحذَّرته إن تم كشف المستور ستفضح الجميع.

وأولهم والدك المبجل (إبراهيم) الذي خطط لوضع (مروة) في طريق (تامر) لغوايته ونهب أمواله وحينما لم يفلح الأمر أكملت أنت يا (شريف) المؤامرة واتفقت مع (مروة) على أن تقوم بسرقة تحقيق شخصية (تامر) في الوقت الذي ذهبت وتشاجرت معه في المحل، ثم قمت بقتل (ريهام) بمساعدة (مهيب الحلواني) وتخلصت منها والآن يتم اتهام (تامر) بقتلها زورًا وسيُقدَّم للمحاكمة ويعدم، ومن بعد ذلك تؤول الأموال لبناتها، ويصبح حينها (محيي الدين هو المتحكم بالمال وبيات صيدًا سهلاً لنا وستقتله هو الآخر ويتم تشخيص السبب سكتة قلبية مفاجئة بعد تعرضه لصدمة ابنته وأيضًا تعتبر زوجتك المصون (سهيلة) شريكة معنا أيضًا لأنها سمعت كل ما دار بينك وبين أبيك، نعم! اعترضت هي في البداية وتشاجرت معك ثم ذهبت إلى والديها وهي غاضبة وعادت مرة أخرى بعد أن قمت بغوايتها بحياة مستقرة ومال وفير، ففي الأخير كانت على دراية بالخطوات والزمان والمكان..

الكل مذنب وقاتل سمعت هذه المكالمة وقررت الانتقام من الجميع ولكن الصدمة أمرضتني وتوعدت لنفسي بالكتمان حتى أشفى، ولكن حينما اشتد المرض وحانت الساعة لم أجد مفرًّا غير البوح حتى يأخذ العدل مجراه وترتاح ابنتي في قبرها."

***

يجلس في الزنزانة متكئ برأسه على الحائط فيسمع صوتها وهي تنادي عليه (تامر) فيلبي النداء مستلقيًا على الأرض مغمض العينين تاركًا روحه تهيم خلف همسها، دقائق وغاص في نوم عميق ورأى طفلتيه وهما تجلسان أمام قبر والدتهما.

***

اتجه الضابطان إلى (ميران) قبل أن تركب سيارتها وحاصروها فأمسك (ياسر) يدها وضغط على الجرح بإصبعيه وهو يقول:

- الآن خرج القاتل من جحره وحان الوقت ليلقى عقابه.

- لا ، لست أنا أقسم لك بذلك.

قالتها وهي ترتجف خوفًا ومعها انهارت كل ذرة قوة كانت تتحلى بها قبل هذه اللحظة سأحكي لك كل شيء بالتفصيل.

- لم يعد هناك مجال للمزيد من الأكاذيب ،أريد أدلة وكفى!

- معي دليل ولكنه على حاسوبي الخاص في المنزل.

- عبارة عن ماذا؟

- أحتفظ بمكالمة هاتفيه بيني وبين مهيب قمت بتسجيلها على الهاتف ثم نقلتها على الحاسوب وكان تحت تأثير مخدر الكوكايين، ستكتشف منها كل تفصيلة ليلة الحادث.

- من هو مهيب؟

- "مهيب الحلواني" صديق شريف.

وبالفعل انطلق الثلاثة إلى المنزل واستعما إلى التسجيل الصوتي الذي وصف كل حركة تمت بعد انطلاق عربة مترو الأنفاق وصراخ ريهام حينما أزاح الرجل الوشاح بعيدًا عن وجهه ووضحت ملامحه واكتشفت بأن من يرافقها منذ البدايه ليس (تامر) وهنا اتضحت الرؤية كاملة لتفاصيل ليلة الحادث.

"يمسك يد (ريهام) ويدفعها للخروج من محطة مترو الأنفاق لتركب سيارة بها شخص يجلس في كرسي السائق، حينما يراها يترجل مهرولاً ممسكًا بيدها يجلس في الخلف ويأخذها بين أحضانه وكأن دميته المفضلة قد عادت إليه بعد سنين من الفقد، الرجل الذي كان معها زال كل الأقنعة التي على وجهه من الشعر المستعار والنظارة التي أخفت نصف ملامحه الحقيقية ثم فك ربطة الشال من على ذقنه فبات الثؤلول في ذقنه أكثر انتفاخًا والآن عاد إلى هويته الأصليه (مهيب الحلواني) الصديق الصدوق لـ (شريف) والآن هو من يتولى قيادة السيارة، تمكن السم من (ريهام) ففقدت الوعي تمامًا وكان آخر شيء تراه هو ملامح وجهه الذي كان تأثيرها عليها أقوى من السم الذي يسري في عروقها فلم تلبث لحظات وفارقت الحياة وهي تلفظ آخر كلماتها لماذا يا (شريف) "لم يترك جزءًا فيها ولم يقبله كالمجذوب حتى ابتلت الأجزاء العارية من جسدها ولكن ليس من لعابه بل من دموعه التي أصبحت أكثر شدة من تلك الأمطار التي تغرق طريق إسكندرية الزراعي، كان مقصدهم من نهايته البحر ليلقوا فيه جسدها ثم تطفو على سطح الماء وتصبح كل الأدلة تشير إلى فاعل واحد وهو (تامر) ولكن القدر كان له رأي آخر، فلم يتمالك (شريف) أعصابه بعد أن أصبحت (ريهام) بين يديه، قام بتمزيق ملابسها وأمسك بكتفيها وظل يصيح "الآن تسألين لماذا؟ لأني أحبك، أدمنت المخدرات لم أتمكن من رؤية امرأة غيرك فأردت نسيانك وفشلت، مع كل محاولة كان يزداد كرهي لك وله" وهنا توقف (مهيب) على جانب الطريق خشية أن يراه أحد في العربات المجاورة وحاول تهدئته ولكنه كان تحت تأثير الحب، أقوى مخدر سيشهده الكون يومًا، فنزل من السيارة وأمسك بقدميها وسحبها من السيارة فأصبحت رأسها كالمطرقة ترتطم في كل عقبة تقابلها حتى دخل بها بين الزرع واعتدى عليها جنسيًّا وهي في عداد الموتي وبعد أن أفرغ شهوته وكان مهيب يقف على مقربة منه يشعل

سيجارته ويشاهده حتى النهاية ثم ذهب إليه وجذبه من فوقها وانتظره حتى أعاد ملابسه كما كانت ثم أخذه للسيارة وتركه بها وأتى ببعض من بنزين السيارة وعاد للجثة وقام بسكبه عليها وأشعل ولاعته في الزرع أسفل قدمها وانتظر حتى تأكد أن النيران طالت جسدها ثم انصرف وابتعد بالسيارة حتى لا ينكشف أمرهما، وهنا السماء رأفت لحالها، فالنار لم تطأ إلا الجزء الذي انتهكه (شريف) فتم تطهيره من أي آثار نجسة وبعدها انهمرت الأمطار بغزارة دفعة واحدة فأطفأتها"

وهنا طلب (ياسر) من (ميران) أن تتصل بـ (شريف) لتعرف مكانه وتطلب مقابلته ولكنها قاطعته قائلة:

- أحاول الاتصال به منذ الصباح لأحكي له ما حدث مع مروة وعن المال الذي أخذته ولكنه لم يجِب عليَّ.

- إذًا ستأتي معنا حتى يتم العثور عليه.

وهنا شعرت بالخطر، وأنها سوف تكون كبش الفدا إذا تمكن (شريف) و (مهيب) من الفرار، فسكتت دقائق من الارتجاف ثم قالت:

- دعنا نذهب أولاً إلى المقهى الذي يجلس به شريف دومًا مع أصدقائه.

فنزلا واستقلا سيارتها حتى وصلا إلى القهوة وترجلت ميران وظلت تتفحص من بعيد وجود أي منهما حتى لمحت مقدمة رأس (شريف) هرولت مندفعة باتجاههما _ والضابطان خلفها_ حتى وصلت إلى الطاولة التي يجلسان عليها، وحينما اقتربت بمسافة كافية فرأها شريف الذي هم بالوقوف وحينما لمح خلفها (ياسر ديهوم) جلس ثانية ونظر إلى (مهيب) الذي يجلس أمامه فاستدار بحذر ليرى ما خلفه فسمع صوتها وهي تقول:

- الآن رأيت بعينيك ما سمعته منذ قليل.

أومأ برأسه وهو ينظر إلى (مهيب) بعد أن رأي الثؤلول في ذقنه، وهنا شعر بأن أمره قد انكشف ففر هاربًا فركض خلفه (عادل) الذي أطلق رصاصة طائشة في الهواء أدت إلى ذعره وتعرقل قدمه فخر ساقطًا وتمكن من الإمساك به، ظل (شريف) جالسًا مكانه هادئًا مبتسمًا ينظر إلى (ياسر) مصفقًا له مادحًا فطنته فسأله الضابط بنفس الابتسامة:

- لماذا فعلت بهما كل هذا؟ لا أعتقد أن المال هو السبب الوحيد.

- الجميع أراد المال إلا أنا كنت أركض خلف الطفلة التي ملكت قلبي وروحي إنه... الحب، وهل هناك سبب أقوي للقتل من الحب.

- هل تعرف معنى اسم ديهوم؟

- لا

- ولا أنا...

- ولكني عرفت وتلذذت بمذاق الجسد الذي اشتهيته طوال عمري.

قالها (شريف) وابتسم بسخرية وثبات مما أفقد (ياسر) أعصابه ودفعه إلى لكمة عدة مرات متتالية بوجهه حتى نزفت أنفه وبالرغم من ذلك لم يتخلَّ عن ابتسامته الساخرة وكأنه يحدث نفسه قائلاً:

"الآن لم أعد أبالي بما سيحدث معي، الأهم أنها لم تعد ملك لأحد غيري."

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أعمال الكاتبة

- ملاك الموت
- جريمة في شارع التسعين
- الليلة الأخيرة
- رحلة السيدة العجوز

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

(1)
(2)
(3)
(4)
(5)
(6)
(7)
(8)
(9)
(10)
(11)
(12)
(13)
(15)
(6)
(17)
(18)
(19)
(20)
(21)
(22)
النهاية
أعمال الكاتبة